جابرييل جارسيا ماركيز
الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٨٢

ترجمة
عبد المنعم سليم

سرد أحداث موت معلن

مكتبة مدبولي
القاهرة





سرد أحداث موت معلن

سرد أحداث موت معلن

تأليف

جابرييل جارسيا ماركيز

الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٨٢

ترجمة

عبد المنعم سليم

مكتبة مدبولي

القاهرة

هذه الرواية

هذه الرواية هي أحدث روايات الكاتب العالمي جابرييل جارسيا ماركيز الذي حصل على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٢ ، والذي قرأ له الكثيرون من قراء العربية : مائة عام من العزلة وخريف البطريرك ، وارنديرا البريئة وقصص أخرى والتي نشرت تحت عنوان أجمل رجل غريق في العالم . ولست أدري ، اذا كانت « في ساعة الشر » قد ترجمت الى العربية أم لا . على أن الرواية التي تحتويها دفتي هذا الكتاب هي آخر رواياته ، أعني أحدثها فقد نشرت بالاسبانية وترجمت الى الانجليزية في اواخر عام ١٩٨٢ . وبالرغم من أن هذه الرواية ستحظى بشهرة كبيرة لان مؤلفها هو ماركيز الا ان الكثيرين قد يعتبرونها أقل مستوى من مائة عام من العزلة ، أشهر رواياته . ومع هذا فانني أتفق مع المؤلف نفسه في أن هذه الرواية هي أفضل رواياته كلها .

هذا واذا قرأنا تقرير لجنة جائزة نوبل للآداب عندما قررت منحه جائزتها سنة ١٩٨٢ نقرأ الآتي « ... رواياته التي يمتزج فيها الخيال بالواقع في ظل تركيبة ثرية لعالم شعري » واذا كان هذا الكلام ينطبق تماما على مائة عام من العزلة ، الا انه لا ينطبق تماما على هذه الرواية التي نقدمها ، فليس هنا مثلا مزج للخيال بالواقع ، فنحن امام واقع مطلق أساسه جريمة قتل قام بها التوأمان فيكاريو دفاعا عن شرف أختهما

ضد سانتياجو نصار . ولقد صرح الاخوان القاتلان صباح يوم الجريمة بما ينتويان ، ومع هذا فلم يتحرك أحد لمنع الجريمة ... مع أن الادلة لم تكن ثابتة على الضحية . هل معنى ذلك أن هذه المدينة بأجمعها ، أقصد برجالها ونسائها وسلطات الدولة فيها ، بل واكثر من ذلك أصدقاؤه أيضا ، كانوا يريدون الخلاص من سانتياجو نصار ؟..

انني لا أريد أن أدخل في تفصيلات أو في آراء أو أفكار حول الرواية ومدلولاتها واشعاعاتها ، وأفضل أن اترك النص ليتحدث بنفسه عن نفسه . غير أنه يبقى الشق الثاني من تقرير لجنة جائزة نوبل (... في ظل تركيبة ثرية لعالم شعري) هذه الحقيقة لا يستطيع أحد ان ينكرها : تلك التركيبة الثرية لعالمه الشعري . وهذه التركيبة الثرية الشعرية هي التي تفرض على أعمال ماركيز هذا الاسلوب العجيب . ان قواعد اللغة هنا مفهومة ولكن تراكيبها غريبة وعجيبة ، وهذه التراكيب ، بهاتين الصفتين ، تفرض على المترجم لكي يكون أمينا في نقل ما وراء اللغة ، الالتزام بنفس التراكيب . وهذا ما فعلته .. وكان سهلا أن تترجم هذه الرواية ترجمة مبسطة ، ولكن هنا تفقد الرواية شخصيتها ، وما الترجمة الا محاولة جادة لنقل الكلمات باشعاعاتها حتى ولو كان ذلك على حساب اللغة المترجمة الرواية اليها.. وماركيز يحمل اللغة التي يكتب بها اكثر مما تحتمل بتراكيب تبدو دخيلة عليها .

هذا وقد ولد جابرييل جارسيا ماركيز في مدينة صغيرة في كولومبيا بأمريكا الجنوبية سنة ١٩٢٨ وتعلم في جامعة بوجوتا وعاش فترة طويلة في المكسيك واشتغل في الصحافة ، وقد تفرغ الان للادب نهائيا .

المترجم

الصيد في الحب

كصيد الطيور

بل اكثر ترفعا

جل فيسنتي

جل فيسنتي (١٤٦٥ ــ ١٥٣٦) شاعر وكاتب مسرحي برتغالي يعتبر من اهم الشخصيات في الادب البرتغالي .

في اليوم الذي ذهبوا اليه ليقتلوه ، استيقظ سانتياجو نصار في الخامسة والنصف صباحا ينتظر المركب التي سيحضر فيها الاسقف • كان يحلم بأنه يخترق أيكة من أشجار الغابات حيث تتساقط قطرات من الرذاذ الخفيف • لقد كان سعيدا في حلمه منذ اللحظة الاولى ، لكن عندما أفاق منه شعر بأن مخلفات الطير قد غطته تماما • « لقد كان يحلم بالاشجار » • هذا ما ذكرته لي أمه بلاسيدا لينيرو بعد ٢٧ عاما وهي تتذكر تفاصيل ما حدث في ذلك الاثنين البغيض • « في الاسبوع الذي سبق ذلك اليوم كان يحلم بأنه يركب طائرة فضية بمفرده ويحلق بها فوق أشجار اللوز دون أن يرتطم بأي شيء » ، هكذا قالت لي • كانت للام شهرة واسعة في تفسير احلام الآخرين شريطة أن يرووا أحلامهم لها قبل تناول الطعام ، لكنها لم تشعر بأن هناك تنبؤا ينذر بالسوء في أحلام ابنها ، أو في احلام الآخرين المتعلقة بالاشجار والتي رواها لها ابنها صباح تلك الايام التي سبقت موته •

حتى سانتياجو نصار لم يدرك بأن هناك شيئا يبشر بالسوء أو بالخير • لقد نام في ذلك اليوم نوما قليلا ، رديئا ، دون أن يخلع ملابسه ، واستيقظ يشكو من صداع وافرازات مريرة في حلقه ، وقد فسر ذلك على انه فوضى طبيعية للعربدة التي حدثت في حفل الزفاف الذي استمر حتى منتصف الليل •

علاوة على ذلك فقد ذكر هؤلاء الاشخاص الذين التقى بهم مصادفة

وغادروا منزله في السادسة وخمس دقائق ، بعد أن أصبح مثل خنزير مقطع الى شرائح ، أن النعاس كان يبدو عليه ومزاجه معتدل ، ولقد ذكر للجميع بطريقة عابرة أن ذلك اليوم كان رائعا • ولم يكن أحد متأكدا ما اذا كان يشير بذلك الى حالة الجو أو الى شيء آخر • والكثير من الناس يتفقون في الرأي أن ذلك اليوم كان الصباح فيه مشرقا تصحبه نسمات البحر القادمة خلال حقول الموز ، وقد كان ذلك متوقعا في تلك الفترة من شهر فبراير • لكن الاغلبية اتفقت في الرأي على أن الجو كان كئيبا مليئا بالسحب والسماء قاتمة ، ورائحة المياه الراكدة نفاذة ، وقد واكب هذه اللحظات التعسة سقوط رذاذ ضعيف مثل ذلك الرذاذ الذي كان يراه سانتياجو نصار في حلمه •• حيث كان الرذاذ يتساقط على الأيكة • ولقد تم شفائي من العربدة التي حدثت يوم الزواج حيث استيقظت أنا وماريا الجندرينا سيرفانتس على صراخ اجراس الانذار ، معتقدين أنهم يدقونها تكريما للاسقف •

ارتدى سانتياجو نصار قميصا وبنطلونا مصنوعين من التيل الابيض دون تنشية ، تماما مثل شخص يرتدي أية ملابس قبل يوم حفل الزفاف • ولقد كانت هذه هي ملابسه الفاخرة التي يرتديها في المناسبات الخاصة • ولو لم يكن ذلك من أجل وصول الاسقف ، لكان قد ارتدى ثوبه الخاكي وحذاء ركوب الخيل الذي كان يرتديه كل يوم اثنين عندما يذهب الى « الوجه المقدس » •• مزرعة المواشي التي ورثها عن والده والتي كان يديرها بحكم صادر من المحكمة ، ولكن لم يكن له فيها حظ كثير •

في القرية كان يحيط خصره بمسدس عيار ٣٥٧ ومعه ذخيرته، وطبقا لما قاله فان قوة هذا المسدس يمكن أن تقطع الحصان الى نصفين ، وأثناء موسم طائر الحجل كان يحمل عدة الصيد ، وفي الخزانة كان يحتفظ ايضا

بسلاح عيار ٣٠،٠٦ وبمسدس هولندي عيار ٣٠٠ وبندقية عيار ٢٢ مزودة بتلسكوب مزدوج القوة .

كان دائما ينام بالطريقة التي كان ينام بها والده ، فيخبىء السلاح في غطاء الوسادة ، لكنه قبل أن يغادر المنزل في ذلك اليوم افرغ السلاح من الرصاص ووضعه في درج المكتب . وقد ذكرت لي أمه : « انه لـم يترك السلاح محشوا على الاطلاق » .

كنت أعلم ذلك ، وكنت أعلم أيضا أنه كان يحتفظ بالبنادق فـي مكان واحد ويخبىء الذخيرة في مكان آخر بعيد حتى لا يستطيع أحـد ولو عن طريق الصدفة ان يستسلم لاغراء حشو هذه البنادق داخل المنزل، ولقد كانت هذه عادة حكيمة أخذها عن والده منذ ذلك الصباح عندما جاءت الخادمة لتبدل غطاء الوسادة فسقط المسدس وارتطم بالأرض وانطلقت منه رصاصة حطمت الدولاب الموجود بالغرفة ثم اخترقت حائط حجرة المعيشة ، واخترقت حجرة طعام المنزل المجاور محدثة صوتا كدوي الحرب ، ثم حولت تمثال القديس الموجود بالحجم الطبيعي في الجانب المقابل للميدان الى حبات من التراب .

سانتياجو نصار ، الذي كان طفلا في ذلك الوقت ، لم ينس ابـدا ذلك الدرس الذي تلقاه من هذا الحادث .

وآخر ما انطبع في ذهن أمه مروره السريع خلال حجرة النوم وهو يبحث عن اسبرين في أجزخانة الحمام ، فأضاءت النور فاذا بها تشاهده واقفا في المدخل وفي يده كوب من الماء ، وهكذا ستتذكره الى ما لا نهاية. ولقد حدثها سانتياجو نصار وقتئذ عن الحلم لكنها لم تعر الاشجار أي اهتمام على الاطلاق .

قالت : « ان أي حلم عن الطيور يعني صحة جيدة » .

لقد رأته من نفس الارجوحة الشبكية ومن نفس الموقع حيث وجدتها

منهوكة القوى كضوء يخبو بسبب شيخوختها عندما عدت لتلك القرية المنسية محاولا ان استرجع الذكريات المبعثرة •

لقد استطاعت بالكاد ان تكتشف اشكالا تحت الاضواء الساطعة وكانت قد وضعت بعض أوراق النباتات الطبية على صدغيها لمعالجة الصداع المزمن الذي كانت تعاني منه منذ تركها ابنها آخر مرة عندما كان مارا بحجرة النوم • كانت ترقد على جنبها متشبثة بالحبال في أعلى الارجوحة الشبكية في محاولة للنهوض • وفي الضوء الخافت كانت هناك رائحة مياه المعمودية التي جعلتني أشعر بالرعب في صباح يوم الجريمة•

وبمجرد لحظة ظهوري على عتبة الباب أربكتني بذكرى سانتياجو نصار واخبرتني : « لقد كان هناك • كان يرتدي ملابس مصنوعة من خيوط التيل الابيض المغسولة في مياه خالية من أي مسحوق لان جلده كان رقيقا جدا لا يتحمل النتائج التي يحدثها مسحوق النشاء » •

جلست على الارجوحة الخشبية لمدة طويلة تمضغ حبات قرة العين حتى فارقها الوهم بأن ابنها قد عاد • ثم تنهدت : « لقد كان الرجل في حياتي » •

لقد رأيته مطبوعا في ذاكرتها • الاسبوع الاخير من يناير كان قد بلغ واحدا وعشرين عاما ، وقد كان نحيفا وشاحبا ، وقد ورث عن أبيه الجفون العربية والشعر المجعد • كان هو الطفل الوحيد الذي أتى الى هذا العالم عن طريق زواج لم تتخلله لحظة سعادة واحدة ، ومع ذلك كان يبدو سعيدا بوالده حتى مات الاخير فجأة منذ ثلاث سنوات ، واستمر في ما يبدو سعيدا مع أمه الوحيدة حتى يوم الاثنين •• يوم وفاته •

ورث غريزته عن أمه • وتعلم من والده منذ الصغر المنـــاورة بالسلاح ، وحبه للخيل ، والسيطرة على فرائس الطيور المحلقة •ولكنه تعلم منه أيضا فنون الشجاعة والحكمة • كانا يتحدثان العربيـــة في مـــا بينهما ، ولا يتحدثان بها أمام بلاسيدا لينيرو حتى لا تشعر بأنها بمعزل عنهما • لم يشهدهما أحد في المدينة وهما يحملان السلاح على الاطلاق ، والمرة الوحيدة التي أظهرا فيها طيورهما المدربة كانت في عرض للصقور في سوق خيري • وقد أجبره موت والده على ترك دراسته في نهاية المرحلة الثانوية كي يحمل على عاتقه مسؤولية ادارة مزرعة العائلة • ومن مميزات سانتياجو نصار بغض النظر عما ورثه أنه كان مسالما ، وطيب القلب •

في اليوم الذي ذهبوا فيه ليقتلوه ، اعتقدت أمه أن الايـــام قـــد اختلطت عليه عندما شاهدته مرتديا ملابسه البيضاء • قالت لي : « لقد ذكرته بأن ذلك اليوم هو يوم الاثنين » • لكنه شرح لها أنه ارتـــدى هذه الملابس التي تتسم بالصفة البابوية لعل الفرصة تؤاتيه ويقبل خاتم الاسقف • امتنعت الام عن ابداء أي دليل على الاهتمام لكنها قالت له : « لعل الاسقف لا يترك المركب على الاطلاق •• سوف يعطي بركـــاته اللازمة كالعادة ، ويعود من حيث أتى •• انه يكره هذه المدينة » •

كان سانتياجو نصار يـــدرك هذه الحقيقـــة ، لكنه لم يكن يملك مقاومة الاعجاب الذي يكنه لموكب الكنيسة • ولقد قال لي سانتياجو نصار ذات مرة : « انه يشبه السينما » • ومن ناحية أخرى كـــان الشيء الوحيد الذي يثير اعجاب الام بخصوص وصول الاسقف هو أن ابنها لم ترهقه الامطار منذ أن سمعته يعطس أثناء نومه • لقـــد نصحتـــه أن يأخذ معه مظلة ، لكنه لوّح لها مودّعا وترك الحجرة • كانت هذه هي المرة الاخيرة التي رأته فيها •

أما الطباخة فيكتوريا جوزمان فكانت متأكدة تماما من أنها لم تمطر لا في ذلك اليوم ولا خلال شهر فبراير بأكمله، وعندما حضرت لاراها قبل أن تموت بلحظات قليلة ، قالت : « على العكس تماما ..الشمس تدفىء الاشياء أسرع منها في أغسطس » . كانت قد قامت بتقطيع ثلاثة أرانب كل منها الى أربعة أقسام من أجل طعام الغذاء عندما دخل سانتياجو نصار الى المطبخ . وقد تذكرت فيكتوريا جوزمان دون اهتمام : « كان يصحو من النوم دائما ويبدو على وجهه أنه قضى ليلة تعيسة » .

اما ديفينا فلور ابنة فيكتوريا التي ناهزت فترة النضوج فقد قدمت الى سانتياجو نصار ابريقا من القهوة مع نقطة من (ليكير القصب) ، كما هي العادة كل يوم اثنين ، كي تساعده على تحمل عبء الليلة الماضية . وكان المطبخ الكبير ، بالهمسات المتصاعدة من النار والدجاج النائم في أقفاصه ، يجعل التنفس فيه صعبا . ابتلع سانتياجو نصار قرصا آخر من الاسبرين وجلس يرتشف من ابريق القهوة رشفة رشفة، ويفكر ببطء دون أن يحوّل عينيه عن المرأتين اللتين كانتا تنتزعان أحشاء الارانب فوق الموقد . وبالرغم من تقدم فيكتوريا جوزمان في السن الا انها كانت تبدو في مظهر طيب . لكن ابنتها التي لم تكن أليفة، كان يبدو عليها أنها مسحوقة بنشاط غددها . ولقد جذبها سانتياجو نصار من معصمها عندما جاءت لتأخذ منه ابريق القهوة الفارغ وقال لها : « لقد حان الوقت الآن لترويضك » . لكن فيكتوريا جوزمان لوحت له بالسكين المغطاة بالدم وأمرته بحزم : « أتركها يا (بيضة) .. لن تقترب منها طالما أنني على قيد الحياة » .

لقد أغواها ابراهيم نصار وهي في قمة سن المراهقة . مارست

معه الحب سرا لعدة أعوام في اسطبل المواشي ثم أحضرها الى المنــزل لتعمل خادمة عندما انتهى الحب •

أما ديفينا فلور ابنة الزوج الحديث العهد فكانت تدرك تماما أنه مقدّر عليها أن تشارك سانتياجو نصار الفراش ، وقد كشفت هــذه الفكرة عن قلق سابق لاوانه ، ولقد أخبرتني : « رجل كهذا لن يــولد مرة أخرى » ، سمين وشاحب ومحاط بحب الآخرين • وقــد أجــابتها فيكتوريا جوزمان : « لقد كان مثل والده تماما •• فضلات » ! لكنها لم تستطع أن تتجنب موجة الرعب التي انتابتها بمجرد أن تذكرت رعب سانتياجو نصار عندما انتزعت ما بداخل الارنب من الجذور وقــذفت بالاحشاء الى الكلاب •

قال لها : « لا تكوني متوحشة •• تصوري انه كان انسانا » •

ان فيكتوريا جوزمان كانت في حاجة الى عشرين عاما على الاقل لكي تدرك أن انسانا اعتاد على قتل الحيوانات العاجزة عن الدفاع عن نفسها يمكن أن يرتسم على وجهه فجأة مثل هذا الرعب • ولقد شرحت بدهشة : « يا الهي •• كل هذا كان بمثابة رؤيا أو وحي » • ومع ذلك فقد كان بداخلها ثورات كثيرة مؤجلة صباح يوم الجريمة لدرجة أنهــا راحت تطعم الكلاب بأحشاء الارانب الاخرى لتنغص افطار سانتياجــو نصار ، وهذا هو السبب في أنهم كانوا مستعدين ، عندمــا استيقظت المدينة كلها لدى سماعهم نبأ وصول السفينة التي تحمل الاسقف •

كان المنزل من قبل مستودعا مزوّدا بمخزنين ، حوائطه من الخشب السميك ،وسطح من الصفيح الحاد تقف عليه الصقور لتراقب النفايات الموجودة على رصيف الميناء • ولقد بني هذا المنزل عندما كان النهــر

صالحا للاستعمال حيث كان هناك العديد من مراكب نقـل البضائع ، والقليل من السفن الكبيرة تسلك طريقها الى هناك عن طريق مستنقعات مصب النهر • وعندما جاء ابراهيم نصار مع آخر من عاش من العرب في نهاية الحروب الاهلية لم تعد السفن تصل الى هناك بسبب التغييرات التي حدثت في النهر ولان المستودع كان مهجورا •ولقد اشترى ابراهيم نصار المستودع بثمن بخس وذلك لتشييد مخزن لاستيراد البضائــع والكنه لم يفعل ذلك ابدا ، وعندما عزم الزواج قام بتحويلــه الى منزل ليعيش فيه •

في الدور الارضي فتح ردهة تستخدم لكل شيء ، وخلف المنزل قام ببناء اسطبل يسع أربعة حيوانات، ومساكن للخدم ، ومطبخ مزوّد بنوافذ تطل على رصيف الميناء ليأتي خلالها الماء في كل ساعات اليوم • أما الشيء الوحيد الذي تركه سليما في الردهة فهــو السلم الحلزوني الذي استخلصه من بعض حطام سفينة • وفي الدور العلوي حيث كانت مكاتب العملاء من قبل ، قام ببناء حجرتــين كبيرتــين للنوم وخمس حجيرات للعديد من الاطفال الذين كان ينوي انجابهم ، ثم بنى شرفــة خشبية تطل على أشجار اللوز الموجودة في الميدان حيث كانت بلاسيدا لينيرو تجلس في أمسيات شهر مارس لتخفف عن نفسها مشاعر الوحدة• أما مدخل المنزل فقد احتفظ ببابه الرئيسي وقام ببناء اثنين مــن النوافذ الطويلة جدا بقضبان حديدية • كما احتفظ بالباب الخلفي كما هــو ، فقط جعله أطول قليلا حتى تتمكن الجياد من الدخول خلاله ، واحتفظ بجزء من رصيف الميناء للاستعمال • ولقد كان الباب الخلفي هو الاكثر استعمالا ، ليس لانه المدخل الطبيعي للمديرين وللمطبخ ولكن لانــه يؤدي الى الشارع ••• الى الارصفة الجديدة دون المرور بالميدان • أما الباب الامامي فكان مغلقا ولا يستعمل الا في المناسبات الخاصة ، ومع

هذا فان هذا الباب ــ وليس الباب الخلفي ــ هو الــذي انتظر بجانبه الرجال الذين جاؤوا لقتل سانتياجو نصار ، وخلال هذا الباب ايضـا خرج لاستقبال الاسقف بالرغم من أنه كان يجب أن يسير حول المنزل كله لكي يصل الى أرصفة الميناء .

لم يستطع أحد أن يفهم مثل هذه الظروف الحتمية . والقــاضي المحقق الذي جاء من (ريوهاشا) لا بد وأنه قــد أحس بهذه الظروف دون أن يجرؤ على الاعتراف بها لان اهتمامه في اعطائهم تفسيرا منطقيا لما حدث كان واضحا في تقريره .

هذا الباب المؤدي الى الميدان نوّه عنه مرات كثيرة في روايــة بعشرة سنوات اسمه « الباب الحتمي » . وفي الواقــع يبدو ان التفسير الصحيح هو ما ذكرته بلاسيدا لينيرو التي أجابت على السؤال بحكمــة أمها : « ابني لا يخرج أبدا من الباب الخلفي عندما يرتدي ملابسه » . لقد بدا أن هذه الكلمات تعني الحقيقة بكل سهولة ، مما جعل المحقق يدوّنها كنقطة هامشية لكنه لم يذكرها في تقريره .

أما بالنسبة لفيكتوريا جوزمان فكانت قاطعة في اجابتها بأنهــا لا هي ولا ابنتها كانا يعرفان انهم كانوا في انتظار سانتياجو نصار ليقتلوه. لكن خلال سنوات حياتها بعد ذلك اعترفت أنهما كانا يعرفان ذلك عندما جاء الى المطبخ ليشرب قهوته . لقد عرفنا ذلك من امرأة مرّت بالمنزل بعد الساعة الخامسة تستجدي قليلا من اللبن ، علاوة على ذلك بــاحت بالدوافع ، والمكان الذي كانوا ينتظرونه فيه ، ثم قالت لي : « انـــي لم أحذره لانني اعتقدت أن هذا الكلام كلام مخمورين » . بالرغم من ذلك فان ديفينا فلور اعترفت لي في زيارة بعد ذلك وبعد موت أمها ، أن أمها

لم تخبر سانتياجو نصار بأي شيء لانها في أعماق قلبها كانت تريد أن يقتلوه • ومن ناحية أخرى فانها لم تحذره لانها في ذلك الوقت لم تكن الا مجرد طفلة مذعورة •• غير قادرة على اتخاذ قرار بنفسها ، ولقد أفزعها حين أمسكها من معصمها بيد أحست بها مثلجة وصخرية مثل يد رجل ميت •

ذهب سانتياجو نصار خلال المنزل المحاط بالظلال يتبعه زئير الانتصار والبهجة من قارب الاسقف • ولقد سبقته ديفينا فلور لتفتح له الباب ، قبل أن يسبقها ويسير بين أقفاص الطيور النائمة في حجرة الطعام وبين الاثاث المحطم وأدوات النباتات المعلقة في حجرة المعيشة ، لكنها عندما أمسكت بحاجز الباب لتفتحه لم تستطع أن تتجنب مرة أخرى يد الصقر الجارحة • قالت لي ديفينا فلور : « لقد أمسك بجسدي كله •• كان يفعل ذلك دائما عندما أكون بمفردي في أحد اركان المنزل ، لكنني في ذلك اليوم لم أشعر بالدهشة المعتادة ، بل شعرت برغبة هائلة في الصراخ » • انسحبت بعيدا حتى تدعه يخرج ، وخلال فتحة الباب الصغيرة رأت أشجار اللوز في الميدان شاهقة البياض في ضوء الفجر ، ولكن لم تكن لديها الشجاعة لتنظر الى أي شيء آخر • قالت لي : « عندئذ توقفت المركب عن الصفير وبدأت الديوك تصيح •• لقد كان الضجيج عاليا لدرجة أنني لم أصدق أن المدينة بها كل هذا العدد من الديوك واعتقدت أنها قادمة الى المدينة على مركب الاسقف» •الشيء الوحيد الذي استطاعت أن تفعله من أجل الرجل الذي لم يكن في يوم من الايام لها ، هو أنها تركت الباب مفتوحا ضاربة عرض الحائط بأوامر بلاسيدا لينيرو كي يستطيع العودة في حالة الطوارىء • شخص ما لم تكتشف شخصيته أبدا دفع بمظروف تحت الباب ، وبداخل المظروف ورقة تحذّر سانتياجو نصار بأنهم هناك ينتظرونه ليقتلوه ، وبالاضافة

الى ذلك فقد كشفت الورقة عن المكان والدافع وبعض التفصيـــلات الدقيقة عن الخطة • كانت الرسالة ملقاة على الارض عندما ترك سانتياجو نصار المنزل ، لكنه لم يرها ، كذلك لم ترها ديفينا فلور ولا أي شخص آخر في المنزل الا بعد مرور وقت طويل على حدوث الجريمة •

دقّت الساعة السادسة ومصابيح الشارع ما زالت مضاءة • وعلى فروع أشجار اللوز وبعض الشرفات كانت الزينات الملونة لحفل الزفاف ما زالت معلقة ، ويمكن للمرء أن يتصور أن هذه الزينات قد علقت توا من أجل تكريم الاسقف ، وكان الميدان مغطى بأحجار أرصفة امتدت الى أول درجات الكنيسة حيث منصة الفرقة الموسيقية التي كانت تشبه كومة من النفايات •• من زجاجات فارغة ومختلف الانقـــاض الناجمة عن الاحتفالات العامة • وعندما ترك سانتياجو نصار منزله كان هناك اناس كثيرون يهرولون نحو أرصفة الميناء بسرعة متقدمين في اتجــاه صوت المركب •

كان المكان الوحيد الذي لم يغلق في الميدان هو محل اللبن الموازي للكنيسة حيث كان يقف الرجلان في انتظار سانتياجو نصار كي يقتلاه • وكانت كلوتيلد أرمنتا صاحبة هذا البناء هي أول شخص رأى سانتياجو نصار في تألق الفجر ، ولقد انطبع في ذهنها أنه كان يرتدي ملابس مـــن الالومنيوم • قالت لي : « لقد كان يشبه شبحا »• والرجـــلان اللذان كانا يريدان قتله كانا نائمين فوق دكتين طويلتين ويمسكـــان بأيديهمـــا السكاكين الملفوفة في ورق الجرائد فوق صدريهما • ولقد حبست كلوتيلد أرمنتا أنفاسها حتى لا توقظهما •

كانا توأمين : بيدرو وبابلو فيكاريو • كانا يبلغان من العمر ٢٤ عاما ويشبهان بعضهما تماما الى الدرجة التي يصعب فيها التفريق بينهمـــا •

ولقد ذكر التقرير : « كانت ملامحهما حادة ، لكنها من النوع الجذاب» .
وأنا ، الذي كنت أعرفهما منذ المدرسة الثانوية ، لو طلب مني ان أكتب عنهما لكتبت نفس الشيء ، في ذلك الصباح كانا يرتديان حلتي الزواج الداكنتين ، وكانتا ثقيلتين ورسميتين بالنسبة لسكان البحر الكاريبي .
وقد بدا عليهما الارهاق الشديد الذي يصل الى حد التدمير بسبب ساعات عصيبة عاشا خلالها . لكنهما قاما بواجبهما وحلقا ذقنيهما ، وبالرغم من أنهما لم يتوقفا عن شرب الخمر منذ ليلة الزفاف الا انهما لم يصلا الى مرحلة السكر في نهاية الايام الثلاثة . ولكنهما كانا يشبهان الى حد ما هؤلاء الذين يسيرون وهم نائمون . ولقد سقطا نائمين مع أول نسمات الفجر بعد أن قضيا ثلاث ساعات ينتظران في محل كلوتيلد أرمنتا . وكانت هذه أول مرة ينامان فيها منذ يوم الجمعة ،ولقد استيقظا بصعوبة عند سماع أول صوت للمركب ، لكن الغريزة أيقظتهما تماما عندما خرج سانتياجو نصار من منزله . عندئذ قبضا على لفافتي الجرائد وبدأ بيدرو فيكاريو ينهض . ولقد تمتمت كلوتيلد أرمنتا : « من أجل حب الله .. أتركاه لوقت آخر .. فقط من أجل نيافة الاسقف » .
وكانت تكرر دائما : « انها نفحة من الروح المقدسة » .

حقا ، لقد لعب القدر دوره في ما حدث ، ولكن فقط من أجل فضيلة متوقعة . وعندما سمعاها انعكس ذلك على التوأمين فيكاريو ، والذي كان واقفا عاد الى الجلوس مرة أخرى . ولقد تابع الاثنان سانتياجو نصار بعيونهما عندما بدأ يعبر الميدان .

قالت كلوتيلد أرمنتا : « كان الاشفاق أكثر ما في عيونهما » .
وكانت فتيات مدرسة الراهبات يعبرن الميدان في هذه اللحظة .. يهرولن بطريقة فوضوية بزي اليتامى الموحد .

كانت بلاسيدا لينيرو على حق عندما قالت ان الاسقف لن يغـادر مركبه • كان هناك الكثير من الناس يقفون على رصيف الميناء بالاضافة الى رجال السلطة ، واطفال المدارس ، وفي كل مكان يمكن للمرء ان يرى النـاس تحمل أقفـاص الديوك السمينه لتقدمها للاسقف كهدية لان شوربتها هي طبقه المفضل • وعند رصيف تحميل البضائع كان يوجـد حطب الوقود الذي وضع على شكل اكوام ، وكانت هذه الحمولـة تتطلب ساعتين لنقلها الـى المركب • لكن المركب لم تتوقف • ظهـرت المركب في منحنى النهر تطلق أصواتا كالتنين ، وعندئذ بدأت الفرقـة الموسيقية تعزف ترنيمة الاسقف وبدأت الديوك تصيح عاليا وهي في أقفاصها فاثارت أصواتها بقية الديوك في المدينة •

في تلـك الايام كانت عجلات التجديف الاسطوريـة التي تحرق الخشب على وشك الاختفاء ، والاعداد القليلة المتبقية منها للقيام بهذا الغرض لم تعد تجد عازفي البيانو الذين يطلبونها أو حجرات الزفاف [١] •• وكانت تستطيع بالكاد آن تواجه التيار الجديد • لكن هذه العجلة كانت جديدة ، وكان بها مدخنتان بدلا من واحده ، ومرسوم عليها علم دائري ، وكانت العجلة مصنوعـة من الخشب السميك عنـد مؤخـرة المركب وكانت بذلك تتحكم في مسارها • وعلى سطحها ، بجانب حجرة القبطان كان يقف الاسقف بردائه الابيض بجانب حاشيته الاسبـان • قالت أختي مارجوت : « كان جو عيد الميلاد » • وما حدث ، طبقـا لما ذكرته ، أن صفارة المركب أطلقت وابلا من البخار عندما كانت تمر بجانب الارصفة وبللت كل من كان هناك على حوافيها • كانت المركب كصورة

(١) يقصد ان يقول ان الخشب الذي كانت تصنع منه هذه العجلات كـان يصنع منه أيضا خشب البيانو واثاث حجرات الزفاف •

وهمية : بدأ الاسقف يرفع يده صانعا علامة الصليب في الهواء في مواجهة الجموع المحتشدة على الرصيف ، وظل يقوم بهذه الحركة بطريقة آلية بعد ذلك حتى اختفت المركب عن الانظار ، وكل ما تبقى بعد ذلك هو الصياح العالي للديكة .

كان لدى سانتياجو نصار المبرر لان يحس بأنه قد خدع . لقد ساهم بعدة أحمال من الخشب متضامنا مع الجماهير في احساسها نحو الاب كارمن أمادور ، بالاضافة الى ذلك فقد اختار بنفسه الديوك المخصية السمينة مع أقراص العسل الشهية . ولكنه كان ازعاجا انتهى أمره . ولقد وجدته أختي مارجوت التي كانت تقف معه على الرصيف معتدل المزاج ولديه استعداد لان يكمل الاحتفال برغم ان الاسبرين الذي تناوله لم يشعره بأية راحة . ولقد قالت لي : « لم يكن يبدو عليه احساس بالبرد وكل ما كان يفكر فيه هو تكاليف الزفاف » . وقد ذكر له كريستو بيدويا الذي كان يقف معهما أرقاما أثارت دهشته . وكان قد أسرف في الشراب هو وساتنياجو نصار وأنا حتى قبل الساعة الرابعة بقليل ، ولم يذهب لينام عند والديه ، بل بقي يتناقش في منزل أجداده . وهناك استطاع أن يحصل على تفاصيل الارقام التي احتاج اليها ليحسب كم تكلفت الحفلة . وأخذ يروي أنهم ضحوا بأربعين ديكا روميا وأحد عشر خنزيرا من أجل الضيوف ، وأربعة من العجول قدمها العريس لشيها للناس في الميدان العام ، وروى أيضا أنه قد قدم ٢٠٥ من صناديق الكحول المحرمة وحوالى ألفي زجاجة من (ليكير) القصب وقد وزعت كلها على الجمهور . ولم يوجد هناك شخص ، غني أو فقير ، الا وشارك بطريقة ما في الحفل الصاخب الذي لم تشهد المدينة مثيلا له . كان سانتياجو نصار يحلم بصوت عال .

ولقد قال : « لا بد وأن يكون حفل زفافي هكـذا • ان الحياة ستكون قصيرة جدا ليتكلم الناس عنها » •

شعرت أختي كما لو أن الملاك قد مر بجانبها • ولقد فكرت مرة اخرى في سعادة فلورا ميجول التي تملك أشياء كثيرة في الحياة ، وكانت في طريقها للزواج من سانتياجو نصار في عيد الميلاد من هذا العام • وقد أخبرتني : « لقد أدركت فجأة أنه لا يمكن أن يكون هناك صيد أغلى منه •• تخيل فقط : وسيم •• يفي بوعده •• ولديه ثروة وهو بعـد في الواحدة والعشرين من عمره » • ولقد اعتادت أن تدعوه لتناول الافطـار في منزلنا عندما نعد فطائر النشاء • وكانت أمي قد صنعت بعضهـا ذلك الصباح وقبل سانتياجو نصار الدعوة بحماس • وقال : «سأغير ملابسي وألحق بك » • ثم اكتشف أنه قد ترك ساعته على مائدة المساء فسأل : « كم الساعة الآن ؟ »

كانت السادسة وخمس وعشرون دقيقة • تأبط سانتياجو نصـار ذراع كريستو بيدويا وقاده في اتجاه الميدان • وقال لاختي : « سأعود الى منزلكم بعد خمس عشرة دقيقة » •

ولكن أختي أصرت على الذهاب سويا وفورا لان طعام الافطـار كان قد تم اعداده • قال لي كريستو بيدويا : « كان ذلك الاصرار غريبا الى درجة أنني فكرت في بعض الاحيان أن مارجوت كانت تعلم مسبقـا أنهم سيقتلونه وأرادت أن تخبئه في منزلك » • ولقد أقنعها سانتياجـو نصار أن تسبقه حتى يرتدي ملابس ركوب الخيل لانه كـان مفروضا أن يتواجد في مزرعة « الوجه المقدس » مبكرا كي يخصي بعض العجول • تركها ملوحا بيده كما كان يفعل مع أمه عندما يودعها • وانطلق نـاحية الميدان متأبطا ذراع كريستو بيدويا • كانت تلك هي آخر مرة رأتـه

فيهـا •

كثير من هؤلاء الذين كانوا يقفون على الارصفة عرفوا انهما سوف يقتلان سانتياجو نصار • أما دون لازارو ابوني ، وهو كولونيل من الاكاديمية استطاع أن يستفيد من تقاعده بعمله كعمدة للمدينة لمـدة احد عشر عاما ، فقد لوح باصابعه لسانتياجو نصار ، وقال لي : « لدي أسباب واقعية تجعلني أعتقد أنه لم يعد في خطر » • كذلك الاب كارمن أمادور ، لم يكن قلقا أيضا ، حيث قال لي : « عندما رأيته سليما يتحرك اعتقدت أن ما يقولونه ليس الا أكذوبة » • ولم يكن لدى أحد شك في أن سانتياجو نصار قد حذّر ، لانه كان يبدو مستحيلا بالنسبة الى الجميـع أن يعتقدوا أنه لم يتلق أي تحذير •

وفي الحقيقة فقد كانت أختي مارجوت واحدة من القلائل الـذين ظلوا لا يعلمون انهما كانا سيقتلانه ، ولقد قررت أمام المحقق : « لـو أنني كنت قد عرفت لاخذته معي الى المنزل حتى لو اضطرني ذلك الـى أن أقيد قدميه » •

كان من الغريب أنها لم تكن تعلم ، وكـان أشد غرابة أن أمي لم تعلم هي الاخرى لانها كانت تعلم كل شيء قبل أن يعلم به أي فرد في المنزل ، بالرغم من حقيقة أنها لم تغادر المنزل لسنوات طويلة الى الشارع ولا حتى الى القداس • ولقد أدركت طبيعتها هذه منذ أن بدأت أستيقظ مبكرا للذهاب الى المدرسة • ولقد وجدتها على تلك الحالة التي كـانت عليها في تلك الأيام ، شاحبة ، متخفية ، تكنس الفناء بمكنسة صنعتهـا بنفسها في وهج الفجر الشاحب خلال رشفات من القهوة ، وكانت تخبرني بما حدث في العالم عندما نكون نائمين • كان يبدو كما لو أنها تملـك خيوطا سرية تصلها بالناس في المدينة ، خصوصا من هم في مثل عمرها ،

وأحيانا كانت تفاجئنا بأخبار مستقبلة لا يمكن لها أن تعرفها الا عن طريق قوى الغيب • ومع هذا فانها ذلك الصباح لم تشعر بأي خفقان للمأساة التي تم التدبير لها منذ الثالثة صباحا • كانت قد انتهت من كنس الفناء، وعندما خرجت أختي مارجوت لاستقبال الاسقف وجدت النشاء المطحون من أجل الفطائر ، وقد تعودت أمي أن تقول متذكرة ذلك اليوم : « كان ممكنا سماع الديوك » • على أية حال لم يرتبط في ذهنها على الاطلاق تلك الصيحات البعيدة بوصول الاسقف •• لكن بآخر ما تبقى من حفل الزفاف •

كان منزلنا على مبعدة من الميدان الرئيسي في بستان مانجو على حافة النهر • وكانت أختي مارجوت قد ذهبت الى أرصفة الميناء سيرا على الاقدام على طول الشاطىء وكان الناس غاية في الحماس لزيارة الاسقف ولا يشغلهم شيء آخر سوى هذه الزيارة • كانوا يجلسون المرضى في الممشى تحت البواكي ليحصلوا على دواء الرب ، وكانت النساء تهرول مسرعة من الساحات حاملة أقفاص الديوك الرومية والخنازير الرضيعة وكل ما يمكن أن يؤكل ، ومن الناحية الاخرى للشاطىء جاءت الزوارق المزينة بالازهار • لكن بعد أن مر الاسقف على المدينة دون أن تطأ قدماه الارض ، تطورت الاخبار المكبوتة الاخرى الى درجة مخزية ، وهكذا علمت أختي مارجوت بما حدث بطريقة مباشرة ووحشية : « انجيلا فيكاريو ، الفتاة الجميلة ، والتي تزوجت في اليوم السابق ، قد عادت الى منزل والديها لان زوجها اكتشف أنها لم تكن عذراء • قالت أختي : « لقد شعرت أنني انا التي في طريقها الى الموت ،لم يعد يهم كيف سيناقشون القصة من كل جوانبها ولم يعد بقدرة أحد أن يشرح لي كيف أن هذا المسكين سانتياجو نصار قد انتهى بأن أصبح

متورطا في هذه المشكلة » • كان الشيء الوحيد الـذي يعرفونه عـن
يقين ان اخوا انجيلا فيكاريو كانا ينتظرانه لقتله •

عادت أختي الى المنزل وقد بدا عليها الضيق وانزوت جانبا لتمنع نفسها من البكاء • وقد وجدت أمي في حجرة الطعام مرتدية مـلابس يوم الاحد المزينة بالزهور الزرقاء والتي ارتدتها احتفالا بالاسقف الدي كان يمكن أن يقوم بزيارتنا ، وكانت تغني أغنية عن الحب بينما كانت تعد المائدة وقد لاحظت أختي أن هناك مكانا اضافيا على غير العاده •

قالت لها والدتي : « انه من أجل سانتياجو نصار •• لقـد قالوا لي انك دعوته للافطار » •

قالت أختي : « ابعدي هذا المقعد » •

ثم روت لامي ما حدث • وقالت لي أختي : « كان يبدو عليها أنها كانت تعلم •• هكذا كانت أمي دائما : اذا بدأت تحدثها عن شيء وقبل أن تكمل لها نصف الرواية فانها كانت تعرف مسبقا كيف يمكن ان تنتهي» • تلك الانباء السيئة كانت مشكلة معقدة بالنسبة لامي • كان سانتياجـو نصار قد أخذ اسم أمي وكانت بمثابة أمه الروحية عند تعميده ، ولكنها كانت أيضا تمت بصلة الدم لبيورا فيكاريو ، أم العروس العائدة • ومع ذلك فبمجرد أن سمعت الانباء لبست حذاءها ذا الكعب العالي وشال الكنيسة الذي تضعه فقط من اجل زيارات العزاء • وابي الذي سمـع بكل شيء وهو في فراشه ، ظهر في غرفة الطعام يرتدي بيجامته وسأل امي محذرا عن المكان الذي ستذهب اليه •

أجابت أمي : « لاحـذر صديقتي العزيزة بلاسيـدا ، فليس من

الصواب أن كل شخص يعلم انهما سيقتلان ابنها ، وهي الوحيدة التي لا تعلم » .

قال أبي : « ان نفس الصلة التي تربطنا بعائلة فيكاريو تربطنا بها » .

فقالت أمي : « يجب أن تأخذ دائما جانب الميت » .

بدأ أخوتي الصغار يخرجون من حجرات النوم الاخرى . شعر أصغرهم بلفح المأساة ، فبدأ يبكي. لم تلق أمي أي اهتمام لهم ، بل انها ولاول مرة في حياتها لم تعر زوجها أي اهتمام .

قال لها والدي : « انتظري لحظة وسوف أرتدي ملابسي » .

ولكنها كانت قد وصلت الى الشارع ، وكان أخي « جيم » الذي لم يتعدّ السابعة من عمره في ذلك الوقت هو الشخص الوحيد الذي ارتدى ملابسه للذهاب الى المدرسة .

أمره أبي : « اذهب أنت معها » .

انطلق جيم ليلحق بها دون أن يعرف ماذا يحدث او الى أين يذهبان، وقبض على يدها . ولقد أخبرني جيم : « كانت تسير وهي تحدث نفسها: حياة حقيرة » . كانت تتمتم بهذه الكلمات : « ان الحيوانات القذرة هي وحدها التي لا تستطيع أن تفعل شيئا دون أن يكون مهولا » . انها، حتى ، لم تكن تدرك أنها تمسك بيد الطفل . ولقد أخبرتني : « لا بد وأنهم اعتقدوا أنني قد جننت ، والشيء الوحيد الذي يمكن أن اتذكره هو أنه على البعد كان يمكن أن تسمع ضوضاء اناس كثيرين كما لو أن حفل زفاف قد بدأ مرة أخرى ، وكل شخص كان يجري ناحية الميدان » .

أسرعت في خطواتها بكل التصميم الذي كانت قادرة عليه عندما تكون حياة شخص في خطر الى أن رآها شخص كان يجري في الاتجاه العكسي ، ونظر اليها مشفقا على حالة الجنون التي أصابتها . ثم صرخ فيها عندما مر بها : « اويزا سانتياجو .. لا تزعجي نفسك ، فقد قتلوه » .



بایاردو سان رومان ، الرجـل الذي أعاد عروسه ، كان قد جاء لاول مرة في أغسطس من العام الماضي : ستة شهور قبل الزفاف . وصل الى المدينة على المركب الاسبوعي ومعه بعض الحقائب التي تـوضع في السروج ، مزينـة بفضة متـلائمة مع ابزيم حزامه والحلقات التي على حذائه ذي العنق . كان عمره حوالى ثلاثين عاما ، لكنه كان يبدو أصغر من ذلك لان لديه خصر مصارع ثيران مبتدىء ، عينان ذهبيتان وبشرة مشوية ، وصل مرتديا (جاكيت) قصيرا وسروالا ضيقا جدا والاثنان من جلد العجل الطبيعي وقفازا من جلد الماعز من نفس اللون .

ماجدالينا أوليفر كانت قد جاءت معه على المركب ولم تستطع أن تبعد عينيها عنه طوال الرحلة . قالت لي : « انه يشبه جنيا .. وكان هذا مؤسفا لانه كان يمكنني أن أدهنه بالزبد وآكله حيـا » . لم تكن هي الوحيدة التي اعتقدت ذلك ، لا ولم تكن هي الاخيرة التي ادركت أن بایاردو سان رومان ليس بالرجل الذي يمكن فهمه من أول نظرة .

وقد كتبت لي أمي على المدرسة قرب نهاية شهر أغسطس قـائلة بشكل عرضي : « وصل رجل غريب جدا » . في الخطاب التالي أخبرتني: « الرجل الغريب يدعى بایاردو سان رومان ، وكل شخص يقول عنه انـه رسيم ، لكنني لم أره » .

لم يعرف أحد السبب الذي جاء من أجله . لكن شخصا مـا لم يستطع مقاومة الاغراء بسؤاله وذلك قبل الزفاف بقليل ، وتلقى الاجابة :

« انني أذهب من مدينة الى أخرى بحثا عن فتاة أتزوجها » • ربما كان ذلك صحيحا ، لكن كان يجيب على أي سؤال آخر بنفس الطريقة ، ذلك لان له اسلوبا في الحديث يخدمه في اخفاء الاشياء أكثر من الاباحة بها •

في الليلة التي وصل فيها جعلهم يفهمون ، وهم في السينما ، أنه مهندس سكة حديد وتحدث عن ضرورة اقامة خط سكة حديد في الداخل حتى يتمكنوا من أن يكونوا في المقدمة بالنسبة لطرق النهر المتقلبة • وفي اليوم التالي كان عليه أن يرسل برقية بنفسه على جهاز الارسال ، وبالاضافة الى ذلك فانه علّم موظف التلغراف طريقةمن صنعه تمكنه من استعمال البطاريات الخسرانة • وبنفس الثقة تحدث عن أمراض الجبهة مع طبيب عسكري ، تلك الامراض التي تعرّض لها خلال الاشهر التي أدى فيها التجنيد الالزامي • كان يحب الاحتفالات الطويلة الصاخبة ، لكنه كان سكيرا عظيما ، وسيطا في المشاجرات ،وعدوا للغش في لعب الورق • وفي يوم أحد بعد القداس تحدى أكثر السباحين مهارة وقوة ، وكانوا كثيرين ، وسبق أعظمهم بعشرين ذراعا في عبور النهر والعودة •

أخبرتني أمي عن ذلك في خطاب ، وفي نهايته أبدت تعليقا ينم عن شخصيتها تماما : « كان يبدو أيضا أنه يسبح في الذهب » • وقد كان ذلك جوابا على الاسطورة التي تقول ان باياردو سان رومان لم يكن قادرا فقط على عمل أي شيء على أحسن وجه ، ولكن كان لديه أيضا وسائل الى مصادر لا نهائية •

وقد أعطت له أمي البركة النهائية في خطاب في أكتوبر : « انالناس يحبونه الى أقصى درجة ، لانه أمين ، طيب القلب ، وفي يوم الاحد

الماضي حصل على البركة وهو منحنٍ على ركبتيه ، وساعد في القـداس باللاتينية » .

في تلك الايام لم يكن مسموحا ان تحصل على البركة وأنت واقف، وكل شيء كان باللاتينية ، لكن أمي تعودت على التعليق على ذلك النوع من التفصيلات غير الضرورية عندما تريد أن تدخل الى قلب المشكلة .

ومع ذلك ، وبعد ذلك الحكم المقدس كتبت لي خطابين لم تذكر لي فيهما أي شيء عن باياردو سان رومـان ، ولا حتى عنـدمـا أصبـح معروفا أنه يريد أن يتزوج انجيلا فيكاريو . فقط بعد فترة طويلة مـن الزواج السيء الحظ اعترفت أمي لي أنها عرفته على حقيقته بعد أن اصبح متأخرا أن تصحح خطاب أكتوبر،وأن عينيه الذهبيتين أحدثتا بنفسها رعبا شديدا . وقالت لي : « انه يذكرني بالشيطان .. ولكنك أنت نفسك كنت قد قلت لي ان أشياء كهذه لا يجب أن تكتب » .

قابلته بعد أن قابلته هي بفترة قصيرة ، عندما جئت الى المنزل في عطلة عيد ميلاد المسيح ولقد وجدته غريبا كما قالوا عنه . حقيقة كـان يبـدو جذابا ، لكنه أبعد ما يكون عن الرؤية الشعرية لماجدالينا اوليفر ، وكـان يبدو بالنسبة لي جادا أكثر مما يوحي به سلوكه الطيب أمام الآخرين .لكن فوق ذلك كله كان يبدو أنه انسان حزين جدا . في ذلك الوقت كان قـد ارتبط رسميا بأنجيلا فيكاريو . ولم يعرف أبدا كيف تقابـل الاثنـان ، وصاحبة منزل العزاب ، حيث عاش باياردو سان رومان ، قالت كيف كان يأخذ سنّة من النوم على مقعد هزاز موجود بالردهة قرب نهاية سبتمبر ، عندما عبرت أنجيلا فيكاريو وأمها الميدان وهما تحملان سلتين من الازهار الصناعية ، وقد شاهدهما باياردو سان رومان الذي كان نصف مستيقظ ترتديان ملابس صارمة السواد وكانتا الوحيدتين اللتين تسيران في مستنقع

الساعة الثانية بعد الظهر ، وسأل عمن تكون الصغيرة • وقد أجابته صاحبة المنزل بأنها الابنة الصغرى للسيدة التي تسير معهـا وأن اسمها أنجيـلا فيكاريو • تبعهما باياردو سان رومان بنظراته حتى الناحية الاخرى من الميدان وقال : « انها سميت باسم جميل » • ثم ألقى برأسه على ظهر المقعد الهزاز وأغلق عينيه مرة أخرى وقال : « عندما أستيقظ ذكريني انني سوف أتزوجها » •

وقد أخبرتني أنجيلا فيكاريو أن صاحبة المنزل كانت قد تحدثت اليها عن تلك الواقعة قبل أن يتودد اليها باياردو سان رومان • قالت لي : « لقد روعت تماما » •

ولقد أكد لي ثلاثة ممن كانوا يقطنون ذلك المنزل أن هذه الحـادثة قد وقعت بالفعل • لكن هناك أربعة آخرين كانوا غير متأكدين • من ناحية أخرى فان كل الروايات في الواقع متطابقة وهي أن انجيلا فيكاريو وباياردو سان رومان قد رأى كل منهما الاخر لاول مرة في العيد القومي في أكتوبر أثناء سوق خيري حيث كانت مكلفة بالنداء على ورق اليانصيب • ولقـد جاء باياردو سان رومان الى السوق وذهب مباشرة الى الكشك الـذي يديره البائع المترهل المتدثر في ثوب الحداد تماما • وسأله عن سعر صندوق الموسيقى المطعم بعرق اللؤلؤ والذي يعتبر فتنة المعرض الرئيسية • فأجابته بأنه ليس للبيع ولكن من اجل قرعة اليانصيب •

قال لها : « ان هذا أفضل بكثير ، اذ يجعله أسهل وأرخص أيضا » •

وقد اعترفت لي أنه استطاع أن يؤثر عليها ، لكـن لاسباب عكس أسباب الحب • وقالت لي وهي تتذكر ذلك اليوم : « انني أمقت الرجال المتكبرين ، ولم أر اطلاقا واحدا يلبس ياقة عالية •• بجانب هذا اعتقدت

أنه بولندي » • وقد تزايد انزعاجها عندما غنت اغنية يانصيب صندوق الموسيقى لاثارة الجميع ، والواقع أن باياردو سان رومان قد فاز به • ولم تستطع أن تتخيل ، لمجرد أن يؤثر عليها ، أنه قد اشترى كل تذاكر اليانصيب •

في تلك الليلة ، عندما عادت انجيلا فيكاريو الى المنزل وجدت صندوق الموسيقى هناك ، مغلفا على شكل هدية ومربوطا بعقدة من قماش الاورجندي • قالت لي : « لم أكتشف على الاطلاق كيف استطاع أن يعرف أن ذلك اليوم كان عيد ميلادي » • وكان من الصعب بالنسبة لها أن تقنع والديها أنها لم تعط باياردو سان رومان أي سبب كي يرسل لها هدية كتلك التي أرسلها ، والالعن من ذلك أنه أرسلها بطريقة واضحة لدرجة أن الجميع لاحظوها • لذلك أخذ أخواها الاكبر سنا منها ، بيدرو وبابلو ، صندوق الموسيقى ليعيداه الى صاحبه بالفندق ، وقد فعلا ذلك بطريقة مضطربة لدرجة أنه لم يرهما أحد وهما يدخلان أو يخرجان • وحيث ان الشيء الوحيد الذي لم تضعه الاسرة في الحسبان هو ظرف باياردو سان رومان ، الذي لا يقاوم ، فان التوأمين لم يظهرا مرة ثانية حتى فجر اليوم التالي ، وكانا يترنحان من شرب الخمر ، ويحملان مرة أخرى صندوق الموسيقى وأحضرا بجانب ذلك باياردو سان رومان لمواصلة مرحهم الصاخب بالمنزل •

كانت انجيلا فيكاريو هي الابنة الصغرى لاسرة ذات دخل ضئيل . كان والدها بونسيو فيكاريو صائغا فقيرا ، وقد فقد بصره نتيجة اشتغاله بأشياء ذهبية دقيقة ، كي يحافظ على سمعة البيت • وكانت والدتها بيوريزيما دل كارمن تعمل مدرسة الى أن تزوجت• كان خنوعها ونظراتها المحزنة تخفيان قوة شخصيتها تماما • ولقد تذكرت قول مرسيدس :«كانت

تشبه راهبة » . ولقد وهبت نفسها بروح مضحية للعناية بزوجها وتربية أبنائها لدرجة أنه في بعض الاحيان ينسى المرء أنها ما زالت على قيد الحياة .

أما البنتان الكبيرتان فقد تزوجتا في وقت متأخر جدا . وبالاضافة الى التوأمين كانت هناك ابنة وسطى ماتت مصابة بحمى الليل ، وبعد مرور سنتين من موتها ظلوا مقيدين بارتداء ثوب الحداد الذي تخلوا عنه قليلا داخل المنزل ، أما خارج المنزل فكان ارتداؤه لازما .

وقد تربى الاخوان على أن يصبحا رجلين ، أما البنات فقد تربين ليتزوجن . كن يعرفن كيف يصنعن الستائر المطرزة ، ويستعملن ماكينة الخياطة ، ويغزلن أربطة للعظام ، ويغسلن ويقمن بالكي ويصنعن الزهور الصناعية والشموع الجميلة ، وكتابة اعلانات الخطوبة ، على عكس الفتيات في تلك الفترة اللاتي يهملن طقوس الموت . كانت الفتيات الاربع ربات بيوت في العلم القديم الذي يتطلب كيفية السهر مع المرضى وتسلية المحتضرين وتكفين الموتى . والشيء الوحيد الذي كانت أمي تؤنبهن عليه هو عادة تمشيط شعورهن قبل النوم . كانت تقول لهن : « أيتها الفتيات لا تمشطن شعوركن في المساء ، ستقللن من سرعة السفن في البحر » . ما عدا هذا كانت أمي تعتقد أنه لا توجد فتيات تربين أفضل منهن . وكان مألوفا أن أسمعها تقول : « انهن ممتازات وأي رجل سيكون سعيدا مع أيهن . لانهن تربين على المعاناة » . لذلك كان صعبا بالنسبة لهذين اللذين تزوجا الاثنتين الكبيرتين أن يحطما هذه الدائرة لانهما كانا يذهبان دائما الى كل مكان سويا . وكانا ينظمان حفلات الرقص للنساء فقط وينزعان للبحث عن النوايا الخفية في مقاصد الرجال .

كانت انجيلا فيكاريو أجمل الفتيات الاربع ، وقالت أمي انها قد ولدت مثل أعظم ملكات التاريخ ، برباط سري ملفوف حول رقبتها ، ولكنها

كانت قليلة الحيلة ، بالاضافة الى فقر روحي مما ينبيء عن مستقبل غامض ينتظرها . كنت أراها عاما بعد عام خلال اجازاتي في أعياد الميلاد ، وفي كل مرة كان يبدو عليها الحرمان عندما كنت أراها في نافذة منزلها حيث كانت تجلس بجانبها بعد الظهر تصنع أزهارا للملابس ، وتغني موسيقى فالس المرأة الوحيدة مع جيرانها .

ولقد قال لي سانتياجو نصار : « انهـا تجلس بكل كيانها هنـاك لتصاد [1] . ان ابنة عمك هي السذاجة بعينها» . وفجأة وقبل الحداد على أختها بقليل مررت بجانبها في الشارع لاول مرة ، وكانت ترتـدي ثياب امرأة ناضجة وشعرها مجعد ، وكان صعبا أن أصدق أنها نفس الشخص. لكن هذه كانت رؤية سريعة : ان فقر روحها قد تفاقم مع مرور الزمن .. تفاقما كثيرا لدرجة أنه عندمـا اكتشف أن باياردوسان رومـان أراد أن يتزوجها اعتقد كثير من الناس أن ذلك كان خداعا من رجل غريب . .

ولم تأخذ الاسرة هذه المسألة بشيء من الجديـة فقط بـل بمنتهى الاثارة . ما عدا بيورا فيكاريو ، التي اشترطت أن باياردو سان رومان يجب أن يقوم بتعريف نفسه كما ينبغي . حتى تلك اللحظة لم يكن يعرف أحد من هو . لم يزد ماضيه عن الشكل الذي عرفوه به بعد ظهر ذلـك اليوم عندما نزل من السفينة مرتديا لباس ممثل المسرح ، وكان متحفظا الى حد بعيد في ما يتعلق بأصله ، لدرجة أن أي تخيل مجنون يمكن أن يكون حقيقة . ولقد ذكر أنه أباد قرى ، وبذر الرعب في بلدة (كازانار) كقائـد لفصيلة لدرجة أنه هرب من جزيرة الشيطان [2] وشوهد بعـد ذلـك في

---

(١) يقصد يصطادها رجل !
(٢) اسم جزيرة كانوا يضعون فيها المساجين الخطرين ثم الغيت بعد ذلك .

بيرنامبوكو، محاولا أن يجد رزقه مع زوج من الدببة المدربة ، وانه استطاع أن ينقذ بقايا السفينة الاسبانية المحملة بالذهب في قناة ويندوارد • وقد وضع باياردو سان رومان نهاية لكل هذه الاحداث بقليل من الدهاء: بأن أحضر عائلته كلها الى البلد •

كان يوجد منهم أربعة : الاب والام وأختان استفزازيتان وصلوا في عربة فورد موديل (ت) بلوحات معدنية رسمية ، وذات نفير كصوت البطة أيقظ الشوارع في الساعة الحادية عشرة صباحا • كانت والدته ألبرتا سيموندس امرأة مخلطة [1] من كيوراكاو تتكلم الاسبانية مخلطة بلغة بابيامنتو • وفي شبابها اعتبرت أجمل المائتي سيدة اللاتي يعشن في أنتيلز •

أما الفتاتان المتفتحتان حديثا فقد كانتا كمهرتين قلقتين • أما الجاذبية الاصلية فقد تركزت في الاب : الجنرال بيترونيو سان رومان ، بطل الحروب الاهلية في القرن الماضي وواحد من اكثر عظماء حكم المحافظين ، ذلك لانه أجبر الكولونيل اوريليانو بيوتديا على الفرار في كارثة تيوكيورنكا •

كانت أمي هي الوحيدة التي لم تذهب لتحيته عندما اكتشفت من هو • قالت لي : « لقد بدا لي أنهما يجب أن يتزوجا ولكن هذا شيء ، والشيء المختلف تماما أن أصافح الرجل الذي أعطى الاوامر بأن يقتل جيرنلدو ماركيز من الخلف » • وبمجرد ظهوره في نافذة العربة ملوحا بقبعته البيضاء، عرفه كل الناس بسبب شهرته من خلال صوره • كان يرتدي بذلة من خيوط الكتان ، قمحية اللون، وحذاء من جلد الكوردفان ذا رقبة عالية ، ونظارة ذات اطار ذهبي مثبتة بمشبك على قصبة أنفه ومتصلة بسلسلة مثبتة

(١) شخص يولد من ابوين أحدهما ابيض والاخر زنجي •

بعروة صديريته • وكان يعلق ميدالية الشجاعة على صدر سترته ويحمل عصا نقش الشعار الوطني على مقبضها • كان هو أول من خرج من العربة، وقد غطي تماما بأتربة طرقنا السيئة الحارقة ، وكل ما كان عليه ان يفعله هو الظهور على العتبة الجانبية للسيارة لكي يدرك كل شخص أن باياردو سان رومان سوف يتزوج بمن يختارها •

لقد كانت انجيلا فيكاريو هي التي لا تريد أن تتزوجه، قالت لي : «كان يبدو بالنسبة لي أكثر من رجل» • بجانب هذا لم يحاول باياردو سان رومان أن يتودد لها ، لكنه سحر الاسرة بلطفه ، ولم تنس انجيلا فيكاريو على الاطلاق رعب تلك الليلة التي تجمع فيها والدها وأخواتها الكبار وأزواجهن ، في الردهة فارضين عليها الالتزام بالزواج من رجل لم تره الا لماما • لم يتدخل التوأمان في هذه المسألة • وأخبرني بابلو فيكاريو : «بدت لنا كأنها مشاكل نسائية » • وكانت محاولات الابوين الحاسمة هي ان اسرة مبجلة بوسائل متواضعة ليس لها الحق في أن تترفع عن جائزة أتى بها القدر • وكانت انجيلا فيكاريو وحدها هي التي جرأت على التلميح الى عدم وجود الحب ، لكن أمها دمرت ذلك بجملة واحدة : « الحب أيضا يمكن أن يعلّم » •

وعلى عكس خطوبات ذلك الوقت التي كانت طويلة وتقع تحت رقابة، فان خطوبتها استمرت لمدة أربعة أشهر فقط بسبب استعجال باياردو سان رومان • ولم تكن هناك خطوبة أقصر من تلك الخطوبة لان بيورا فيكاريو طلبت الانتظار حتى ينتهي حداد الاسرة • لكن الوقت مر دون تلهف وذلك بسبب الطريقة التي لا تقاوم في ترتيب باياردو سان رومان للاشياء • وقد قالت لي انجيلا فيكاريو : « ذات مساء سألني عن المنزل الذي افضله ،

ولقد أجبته دون أن أعرف لماذا أن أجمل منزل في المدينة هو منزل المزرعة الذي يملكه الارمل زيوس » •

ومثل هذه الاجابة ممكن أن تصدر مني • كان المنزل يقع على هضبة تذروها الرياح ، ومن الشرفة تستطيع أن ترى الجنة التي لا تنتهي للمستنقعات المغطاة بشقائق النعمان الارجوانية ، وفي أيام الصيف الصافية يمكن أن تكتشف الافق الرائع للكاريبي ، وسفن السياح من ميناء كارتا جينارى أنديناس • تلك الليلة بالذات ذهب باياردو سان رومان الى النادي الاجتماعي وجلس الى منضدة الارمل زيوس ليلعب معه الدومينو •

ـ « أيها الارمل ، هكذا تكلم : سوف أشتري منزلك » •

فقال الارمل : « انه ليس للبيع » •

ـ سوف أشتريه بكل محتوياته •

الارمل زيوس شرح له بأسلوب التربية المهذبة للايام الغابرة ان محتويات المنزل قد تم شراؤها عن طريق زوجته على مدى عمر طويل من التضحية ، وهذه الاشياء بالنسبة له ما زالت تعتبر جزءا منها •

ولقد قال لي الدكتور ديونيسيو ايجوران الذي كان يلعب معهما : « كان يتكلم بكل نبضة من نبضات قلبه ، ولقد كنت متأكدا من أنه يمكن أن يموت قبل أن يسمح لنفسه ببيع منزل قضى فيه سعادة استمرت أكثر من ثلاثين سنة » • ولقد أدرك باياردو سان رومان هو الاخر مبرراته • وقال : « موافق •• اذن بع لي المنزل خاليا » • لكن الارمل دافع عن نفسه حتى نهاية اللعبة • بعد ليال ثلاث ، واستعداد حسن ، عاد باياردو سان رومان الى منضدة الدومينو •

ـ أيها الارمل ، هكذا بدأ ثانية ، ما ثمن المنزل ؟

ـ ليس له سعر •

ـ اختر أي رجل تريده أن يحكم بيننا •

قال الارمل : « آسف يا باياردو •• لكنكم معشر الشباب لا تدركون دوافع القلب » •

لم يتوقف باياردو سان رومان لحظة واحدة ليفكر ، وقال : دعنا نقول خمسة آلاف بيزوس •

فأجابه الارمل وقد ثار لكرامته : « ان المنزل لا يستحق كل هذا » •

قال باياردو سان رومان : « عشرة آلاف ، مرة واحدة وفورا » •

نظر الارمل اليه وعيناه ممتلئتان بالدموع • أخبرني الدكتور ديونيسيو ايجوران الذي كان اديبا بجانب كونه طبيبا : « كان يبكي بغضب •• تخيل فقط •• مبلغا كهذا في متناول اليد ثم تقول لا بسبب ضعف روحي بسيط » •

لم يصدر عن الارمل زيوس أي صوت ، لكن بدون تردد قال « لا » بايماءة من رأسه •

قال باياردو سان رومان : « اذن قدم لي معروفا أخيرا ، انتظرني هنا خمس دقائق » •

بعد خمس دقائق عاد الى النادي الاجتماعي حاملا خرج الدابة المزركش بالفضة ، وفوق المنضدة وضع عشر رزم كل منها ألف بيزو وكل رزمة كانت ملفوفة بشريط عليه ختم البنك •

مات الارمل زيوس بعد ذلك بشهرين • وقد قال الدكتور ديونيسيو ايجوران : « لقد مات بسبب ذلك •• كان أكثرنا صحة ولكن اذا استمعت الى قلبه بالسماعة يمكن أن تسمع الدموع تتساقط داخل هذا القلب » • لكنه لم يقم فقط ببيع المنزل بكل ما يحتويه ، بل سأل باياردو سان رومان أن يدفع له المبلغ قسطا قسطا لانه لم يعد لديه صندوق يحتفظ فيه بهـذه الكمية الكبيرة من نقود العزاء •

لم يكن ممكنا أن يفكر أحد ، ولم يذكر أحد أن انجيلا فيكاريو لم تكن عذراء • انها لم تعرف أي خطيب سابق ، وقد نشأت على مدى حياتها مع أخوتها تحت صرامة أم حديدية حتى قبل أن تتزوج بأقل من شهرين • لم تترك بيورا فيكاريو ابنتها تخرج بمفردها مع باياردو سان رومان لترى المنزل الذي سيعيشان فيه ، لكنها كانت تصحبها هي ووالدها الضرير حرصا على شرفها •

قالت لي انجيلا فيكاريو : « الشيء الوحيد الذي أصلي لله من أجله هو أن يعطيني الشجاعة لاقتل نفسي ، لكنه لم يعطها لي » • كانت مضطربة جدا لدرجة أنها عزمت على أن تخبر أمها بالحقيقة كي تحرر نفسها من ذلك الاستشهاد ، وعندما نصحتها صديقتاها الحميمتان واللتان ساعدتاهـا في صنع أزهار ثوبها بالعدول عن قصدها الطيب ، قالت لي : « لقد أطعتهمـا طاعة عمياء لانهما جعلاني أعتقد أنهما خبيرتان في خدع الرجال » •

لقد أكدتا لها أن معظم النساء يفقدن بكارتهن في حوادث الطفولـة ولقد أكدت كل منهما أنه حتى الازواج الصارمين يستسلمون لاي شيء طالما أن أحدا لا يعرف عن ذلك شيئا • وأقنعاها أخيرا أن معظم الرجال يصابون بالرعب في ليلة الزفاف لدرجة أنهم يكونون غير قادرين على عمل شيء دون مساعدة المرأة ، وفي لحظة اكتشاف الحقيقة لا يستطيعون الاجابـة عمـا

حدث • وقالا لها أيضا : « الشيء الوحيد الذي يصدقونه هو ما يرونه على الملاءة » • ثم علمّاها حيل الزوجات القدامى ، فتتظاهر بأنها فقدت بكارتها معه ، بأن تنشر في أول صباح لها باعتبارها متزوجة حديثا ، ملاءة سريرها الكتانية الملطخة بالشرف تحت شمس فناء منزلها •

ولقد تزوجت بهذه الصورة الخادعة ، وبالنسبة لدور بايـــاردو سان رومان فلا بد أنه تزوج بوهم شراء السعادة بكل ثقله الضخم لقوته وثروته، والاكثر من ذلك فان التخطيط للاحتفال بدأ يتسع ، وراحت الافكـــــار الكثيرة الهائجة تخطر له لكي تجعل الاحتفال أكثر وأكبر • وقد حاول أن يؤجل الزواج يوما آخر عندمـــا أعلن عن زيـــارة الأسقف حتى يقـــوم بتزويجهما ، لكن انجيلا فيكاريو كانت ضد هـــذه الفكرة وقـــالت لي : « الحقيقة أنني لم أرغب في أن يباركني رجل يقوم بقطع أعراف الديـــوك لعمل حساء ويلقي بباقي الديكة في النفاية » • ومع ذلك ، حتى بدون مباركة الاسقف فقد أخذ الاحتفال مظهر القوة ، حتى كان من الصعب التحكم فيه، فقد خرج من يدي باياردو سان رومان نفسه ، وانتهى بأن اصبح كمهرجان عـــــام •

وقد وصل الجنرال بيترونيو سان رومان وأسرته في ذلك الوقت على المركب الرسمي للكونجرس الوطني التي ظلت راسية على الرصيف حتى نهاية الاحتفالات ، وقد جاء معهم عدد كبير من الرجال المشهورين الـــذين مروا دون أن يراهم أحد في ضجة الوجوه الجديدة • وقد أحضرت هدايا كثيرة لدرجة أنه كان من الضروري استعادة المكان المفقود لاول مصنـــع قوى كهربائية لعرض أعظم الهدايا ، أما باقي الهدايا فقد أخذوها على الفور الى المنزل السابق للارمل زيوس الذي أعد لاستقبال الزوجين الجديدين •

تسلم العريس غطاء كتب عليه اسمه محفورا بالحروف القوطيـــة ،

ويحمل ختم المصنع،أما العروس فقد أعطيت صندوق للملابس مع طقم سفرة من الذهب الخالص لعشرين شخصا • وقد أحضروا أيضا فرقة باليه وفرقتين للاوركسترا لعزف موسيقى الفالس المستوحاة من النغمات المحلية ، وكل المجموعات التي تعزف على آلات النفخ النحاسية ولاعبي الاكورديـون الذين جاؤوا منتعشين بصيحات العريدة •

كانت عائلة فيكاريو تعيش ببيت متواضع بحيطان من القرميد وسقف من سعف النخيل مثبت على اثنين من الاعمدة تعشش عليها العصافير لتفقس بداخلها في يناير ، وفي مواجهته كانت توجد شرفة ممتلئة تماما باصارى الورد ، وفناء واسع يجري فيه الدجاج بحرية ، وأشجار الفواكه •

وخلف الفناء كان للتوأمين زريبة خنازير ، بها طاولة لذبح الضحية ، ومنضدة لنزع الاحشاء ، وقد كانت هذه مصدرا عظيما لدخل الاسرة منذ أن فقد بونيسيو فيكاريو بصره • وكان بيدرو فيكاريو قد بدأ العمل في هذا المجال ، لكن عندما ذهب لقضاء الخدمة العسكرية تعلم أخوه التوأم أيضا ، التجارة في الذبائح •

أما داخل المنزل فكانت توجد مساحة تكفي للمعيشة • لذلك حاولت الاختان الكبيرتان أن تستأجرا منزلا عندما أدركتا حجم الاحتفـال الذي سيقام • ولقد قالت لي انجيلا فيكاريو : « تصور •• لقد فكرا في منزل بلاسيدا لينيرو ، لكن لحسن الحظ التزم والداي بعناد وطبقا للاغنية التي تقول:« يمكن لبناتنا أن يتزوجن في زريبة الخنازير أو لا يتزوجن علـى الاطلاق » • لذلك قاموا بطلاء المنزل باللون الاصفر الاصلي ، وثبتـوا الابواب ، وأصلحوا الارضيات ، بحيث أصبح المكـان يستحق بقـدر الامكان اقامة حفل زواج صاخب • وقد نقل التوأمان الخنازير الى مكان آخر ، وعقما الزريبة بالجير الحي ، لكن حتى بالرغم من هذا ، كـان من

الواضح أنه لا توجد مساحة كافية . وأخيرا وبمجهودات باياردو سان رومان أزالوا الاسوار التي في الفناء واستعاروا منزل الجيران للرقص ، وأعدّوا دككا خشبية للجلوس والطعام تحت أوراق أشجار التمر الهندي.

المفاجأة الوحيدة غير المتوقعة حدثت بسبب العريس صباح يوم الزفاف لانه جاء متأخرا ساعتين عن موعده لانجيلا فيكاريو ، وقد رفضت أن ترتدي ملابسها كعروس حتى تراه بالمنزل . قالت لي انجيلا فيكاريو : « تصور .. كان ممكنا أن أكون سعيدة حتى لو لم يحضر ، وأكون شقية لو تأخر وكنت قد ارتديت ثيابي » . حرصها كان طبيعيا لانه ليس أسوأ ولا أشد عارا لامرأة يعرض عنها وهي في لباس زفافها ، ومن ناحية أخرى فان حقيقة أن انجيلا فيكاريو جرأت على وضع الخمار على وجهها وأزهار البرتقال دون أن تكون عذراء سوف يفسر بعد ذلك على أنه تدنيس لرموز الطهارة . وكانت أمي هي الوحيدة التي قدّرت كعمل شجاع حقيقة أنها قد لعبت أوراقها حتى النتائج النهائية . وقد شرحت لي : « في تلك الايام كان الرب يدرك مثل هذه الاشياء » . ومن ناحية أخرى لم يعلم أحد بعد ما هي الاوراق التي كان يلعب بها باياردو سان رومان . ومنذ اللحظة التي ظهر فيها أخيرا مرتديا (الفراك) ، وقبعة عالية ، حتى اللحظة التي طار فيها راقصا مع مخلوق عذابه ، كان يبدو في الصورة الكاملة للعريس السعيد .

ولا حتى قد عرفت أي اوراق كان سانتياجو نصار يلعبها . كنت معه طوال الوقت ، في الكنيسة ، وفي الاحتفال ، وبرفقة كريستو بيدويا وأخي لويس انريك ، ولم يلمح أحد منا أي تغيير ولو طفيف في سلوكه . وكان عليّ أن أكرر ذلك مرارا ، لاننا كبرنا سويا في المدرسة ، وبعد ذلك كعصبة

في أوقات العطلات ، ولم يكن ممكنا أن يصدق أحد أن يكون هنـاك سر دون أن نشترك فيه ، حتى أكبر الاسرار •

كان سانتياجو نصار رجل حفلات ، وقد قضى أحسن وقت عشيـة موته ، وهو يحسب تكلفة حفل الزواج • وفي الكنيسة قدّر سانتياجـو نصار أنهم صنعوا زينة بالازهار تساوي تكاليفها تكاليف أربع عشرة جنازة من الدرجة الاولى • وقد أزعجتني هذه الدقة لسنوات عديـــدة ، لان سانتياجو نصار كان يقول لي دائما ان الرائحة المرتبطة بالازهار القريبة ، لها علاقة مباشرة بالموت بالنسبة له ، وقد كرر ذلك لي ونحن نجتـاز باب الكنيسة وقال لي : « انني لا أريد أي زهور في جنـازتي » • ولم يفكر عندما قال ذلك انني سأتكفل بأن لا تكون هناك زهور في اليوم التالي • وفي الطريق من الكنيسة الى منزل اسرة فيكاريـو كان يشير باصبعه الى أكاليـــل الزهور التي زينت الشوارع ، ويحسب تكـاليف الموسيقى والصواريخ ، وحتى تكاليف أمطار الارز النيء الذي استقبلونـا بـه في الحفلة • وفي خمول الظهيرة راح الزوجان يطوفان في الفناء •• وقد أصبح باياردو سان رومان أحسن صديق لنا ، صديق يتناول خمرا قليلا كما كانوا يقولون في تلك الايام ، وكان يبدو عليه الشعور بالراحة وهو يجلس معنا الى مائدتنا •

أما انجيلا فيكاريو ، بدون خمارها ، بدون أزهار الزفاف ، بردائها (الستان) الملطخ بالعرق •• تحول وجهها فجأة الى وجه امرأة متزوجة •

كان سانتياجو نصار قد قام بحساباته وقال لباياردو سان رومان ان حفل الزفاف حتى تلك اللحظة قد تكلف حوالى تسعة آلاف بيزوس •وكان واضحا ان انجيلا فيكاريو قد اعتبرت ذلك وقاحة • وقالت لي انجيـلا : « لقد علمتني أمي ألا أتكلم على الاطلاق عن الفلوس أمام الآخرين » •

ومن ناحية أخرى فقد تقبّل باياردو سان رومان هذه الواقعة بكياسة ،بل حتى بمنتهى الكبرياء .

قال باياردو سان رومان : « على الاغلب ، لكن هذه مجرد بداية فقط وعندما تنتهي الحفلة ستجد أنها ستتكلف ضعف هذا المبلغ تقريبا ».

وقد اقترح سانتياجو نصار اثبات ذلك على الورق حتى آخر مليم ، وقد استمرت حياته حتى استطاع أن يفعل ذلك . وفي الواقع وبالارقام الاخيرة التي قدمها له كريستو بيدويا في اليوم التالي على رصيف الميناء ، قبل موته بخمس وأربعين دقيقة ، تأكد أن توقعات باياردو سان رومان كانت في غاية الدقة .

كانت لدي ذاكرة مشوشة عن الاحتفال قبل أن أقرر استعادةتفاصيله قطعة قطعة من ذاكرة الآخرين . ولقد ظلوا لسنوات عديدة يتحدثون في منزلي باستمرار عن واقعة أن والدي كان قد عاد للعزف على (كمان) صباه تكريما للعروسين ، وأن أختي الراهبة رقصت المارنجيو [1] وهي ترتدي ملابس الرهبنة ، وأن الدكتور ديونيسيو ايجوران ابن عم أمي قد رتب لهم ليأخذوه معهم على المركب الرسمي حتى لا يتواجد هنا في اليوم التالي عندما يصل الاسقف . وأثناء التحقيقات في هذه التفاصيل استطعت أن أكسب خبرات عديدة عظيمة ، من بينها الذكريات الخليعة لاخوات باياردو سان رومان اللاتي كانت ملابسهن المخملية ، بأجنحة الفراشات الضخمة والمثبتة على ظهورهن بدبابيس من الذهب ، تجذب اليهن الانتباه أكثر من القبعة البرقوقية [2] وصف ميداليات الحرب على صدر أبيهن . وكثيرون

(١) اسم رقصة .
(٢) من برقوق .

كانوا يعلمون أنه في أثناء فوضى العنف اقترحت الـزواج من مرسيدس بارشا بمجرد أن تنتهي من الدراسة الابتدائية •• تماما كما ذكرتني هي بعد أربعة عشر عاما من زواجنا • والحقيقة أن أكثر الصور قسوة والتي كنت أسيرا لها في ذلك الاحد المرفوض ، كانت صورة ذلك العجوز بـونسيو فيكاريو جالسا وحده على مقعد في منتصف الفناء •• وقد أجلسوه هناك ظنا منهم ، ربما ، أن ذلك كان مقعد الشرف ، وكان الضيوف يتعثرون فوقه ويخلطون بينه وبين شخص آخر ، ويحركوه من مكانـه حتى لا يعترض طريقهم ، وقد هز رأسه البيضاء كالثلج في كل الاتجاهات بتعبير تائه يشبه من أصيب حديثا جدا بالعمى ، ومجيبا على أسئلة كانت لا توجه اليـه ، ويجيب على التلويحات السريعة بالايدي التي لم توجه اليه ، سعيـدا في دائرة النسيان ، وقميصا امتلأت ياقته بالنشاء وممسكا بعصا اشتروها له من أجل الحفل •

انتهت الطقوس الرسمية في الساعـة السادسة بعد الظهر ، عندمـا انصرف ضيوف الشرف • رحلت المركب بكل أضوائها المشتعلـة ، وعلى موسيقى الفالس من عازف البيانو • وللحظة كنا مجموعة من الشخصيات تطفو على جهنم من الشك حتى تعرّف كل منـا على الآخر مرة أخرى ، واندفعنا بتهور ناحية الرياح الحارة • وقد ظهر العروسان بعد ذلك بفترة قصيرة في العربة المكشوفة ، وشقّا طريقهما بصعوبة وسط الجماهـير • بايباردو سان رومـان ، متكلمـا بلا حرص كصاروخ ، شرب الروم من الزجاجات التي قدمتها له الجماهير • وخرج من العربة مع انجيلا فيكاريو ليلحق بدوامة رقصة الكيوبيامبا • وأخيرا أمرنا بايباردو سان رومان أن نستمر بالرقص على حسابه الى أقصى درجة يمكن أن تصل اليها حياتنا ، وحمل زوجته المذعورة الى منزل الاحلام ، حيث كان الارمل زيوس يعيش سعيدا هناك •

انتهى فرح العامة الصاخب الى شظايا صغيرة حوالى منتصف الليل، وكل ما تبقى منه كانت منشأة كلوتيلد ارمنتا على أحد جانبي الميـدان . سانتياجو نصار وأنا ، وأخي لويس انريك وكريستو بيدويا ذهبنا الى منزل الرحمة الذي تملكه ماريا الجاندرينا سيرفانتس ، ووسط هؤلاء الكثيرين الذين ذهبوا ، ذهب الاخوان فيكاريو الى هناك ، وكانا يشربان معنـا ، ويغنيان مع سانتياجو نصار قبل أن يقتلاه بخمس ساعات . بعض الحجرات القليلة المبعثرة من الحفل الاصلي كانت ما زالت باقية ، لانه من كل مكان، أمواج من الموسيقى والمشاجرات البعيدة كانت تصل الينا أكثر حزنـا ، وأكثر خوفا .. حتى وقت قليل من هدير موكب الاسقف .

وقد ذكرت بيورا فيكاريو لامي أنها قد ذهبت الى السرير في الحادية عشرة مساء بعد أن ساعدتها بناتها الكبار في تنظيف بعض مخلفات حفـل الزواج . وحوالى الساعة العاشرة عندما كان لا يزال هناك قلة من السكارى، يغنون في الميدان ، أرسلت انجيلا فيكاريو تطلب حقيبة صغيرة تحمل أشياء خاصة بها كانت موجودة في دولاب ملابسها بحجرة نومها ، كما طلبت أيضا أن يرسلوا لها حقيبة بها الملابس اليومية ، لكن الرسول الذي بعثت به كان على عجلة من أمره . وسقطت في نوم عميق عندما كان هناك طرق على الباب . وقد قالت لامي : « كانت ثلاث دقات بطيئة ، ولكنها كانت دقات من ذلك النوع الغريب الذي ينم على أن هناك أنباء سيئة » . وذكرت لها أنها فتحت الباب دون أن تضيء النور حتى لا توقظ أحدا ، وشاهدت بایاردو سان رومان تحت أضواء الشارع المتوهجة ، قميصه الحريري بلا أزرار ، وبنطلونه الرائع معلق على كتفيه بحمالات مطاطة . قالت بيـورا فيكاريو لامي : « كان يشع بتلك الاحلام الخضراء » . وكانت انجيـلا فيكاريو تحت الظلال ، لذلك لم ترها الا عندما قبض بایاردو سان رومـان على ذراعها ووضعها في الضوء . كان رداؤها الستان ممزقا ،وكانت ملفوفة

بفوطة حتى خصرها . تصورت بيـورا فيكاريو أنهما غـادرا الشارع في العربة ، وأنهما سقطا سقطة مميتة في أعماق الوادي .

قالت : « يا أم الاله المقدسة ... أجيبيني اذا مـا كنت تزالـين الام المقدسة لهذا العالم » .

لم يدخل باياردو سان رومان ، لكنه دفع زوجته برفق داخل المنزل دون أن يقول كلمة واحدة ، ثم قبـّل بيورا فيكاريو على وجنتها وكلمهـا بصوت مكتئب وعميق جدا ، لكن برقة عظيمة . قال لها : « أشكرك على كل شيء يا أمي . انك قديسة » .

كانت بيورا فيكاريو الوحيدة التي تعرف ما الـذي فعلته خـلال الساعتين التاليتين ، وقد ذهبت إلى قبرها ومعها سرها . قالت لي انجيـلا فيكاريو : «الشيءالوحيدالذي يمكن أنأتذكره أنها كانت تمسك بي من شعري بيد واحدة وتضربني باليد الاخرى بغضب تصورت معه أنها سوف تقتلني » . لكن حتى هذا فعلته خلسة لدرجة أن زوجها وبناتها الكبـار ، النائمين في الحجرات الاخرى لم يكتشفوا شيئا حتى الفجر ، عندما كانت المأساة قد تمت بالفعل .

عاد التوأمان قبل الساعة الثالثة بقليل واستدعيا بسرعة للاجتمـاع بأمهما ورأيا انجيلا فيكاريو مستلقاة على وجهها على أريكة حجرة الطعام. وكان وجهها مليئا بالكدمات ، لكنها كانت قد توقفت عن البكاء .

قالت لي : « لم أعد خائفة بعد ذلك ، على العكس : لقد شعرت كما لو أن تهويمات الموت قد انقشعت عني ، والشيء الوحيد الذي أردته أن ينتهي كل شيء سريعا حتى أستطيع أن أهرع الى النوم » . بيدرو فيكاريو ،

أكثر الاخوين قوة أمسكها من خصرها ورفعها في الهواء ، ثم أجلسها على منضدة الطعام • قال لها وهو يرتعش غضبا : « حسنا يا فتاة •• أخبرينا من هو »•

أخذت انجيلا فيكاريو الوقت الضروري لتنطق بالاسم • كانت تبحث عنه في القمة •• وجدته من أول نظرة ضمن الكثير •• الكثير من الاسماء السهلة المشوشة •• من هذا العالم والعالم الآخر وحفرته على الحائط بسهمها المحكم التصويب مثل فراشة دون ارادة ، موتها مكتوب دائما عليها •

قالت : « سانتياجو نصار » •



كان المحامي يؤيد رأي القاتل في دفاعه الشرعي عن الشرف ، والذي أيدته المحكمة أيضا ، وأعلن التوأمان في نهاية المحاكمة انهما من الممكن أن يفعلا ذلك ألف مرة أخرى من أجل نفس السبب • لقد أعطيا تلميحا بالطريقة التي يجب أن يسلكها الدفاع بمجرد استسلامهما للكنيسة بعد حدوث الجريمة بدقائق قليلة • لقد لهثا الى داخل الابرشية ، تتعقبهما عن قرب مجموعة من العرب الهائجين ، ووضعا السكينتين بنصليهما النظيفين فوق مكتب الاب أمادور • كان كل منهما متعبا من عملية القتل الوحشية، وكانت ملابسهما وأذرعتهما مبللة ،ووجه كل منهما ملطخ بالعرق وبدماء طازجة • لكن القسيس اعتبر أن استسلامهما كان بمثابة عمل ينم عن الكرامة العظيمة •

قال بيدرو فيكاريو : « لقد قتلناه علانية ، لكننا أبرياء » •

قال الاب أمادور : « ربما أمام الله » •

وقال بابلو فيكاريو:« أمام الله وأمام الناس •كانت مسألةشرف»•

علاوة على ذلك ، ومع اعادة تقويم الحقائق ، فقد ادعى كل منهما تعطشه الصارم للدماء أكثر مما يبدو في الواقع الى المدى الذي كان لا بد فيه من استخدام المال العام لاصلاح الباب الرئيسي لمنزل بلاسيدا لينيرو الذي تم تكسيره كله بواسطة طعنات السكين •

وفي سجن ريوهاشا حيث قضيا ثلاث سنوات في انتظار المحاكمة ،

وذلك لعدم مقدرتهما على دفع كفالة لاطلاق سراحهما ، كــان العجائز من السجناء يذكرونهما لاخلاقهما الطيبة ، وحب اختلاطهما بالآخرين، ولكنهم لم يلاحظوا أبدا اية علامة على الندم • ومع هذا فان الحقيقة تبدو كما لو كان الاخوان فيكاريو لم يفعلا شيئا صحيحا يتواءم مع قتلهما لسانتياجو نصار توا ، وبهذه الطريقة الملفتة للنظر ، لكنهما كانا قد فعلا شيئا يفوق قدرة المرء على تصوره ، فكان من الصعب لاي شخص أن يوقفهما عــن قتله ، وبالتالي فانهما فشلا في التراجع عن قتله •

وطبقا لما ذكراه لي منذ سنوات ، فانهما كانا قد بدءا في البحث عنه في منزل ماريا الجاندرينا سيرفانتس حيث كانا معه هناك حتى الساعة الثانية•

وتلك حقيقة مثل غيرها من الحقائق، لم يذكر عنها شيء في المذكرة• وحقيقةالامر أن سانتياجو نصار لم يكن هناك في الوقت الذي قال التوأمان فيه انهما قد ذهبا للبحث عنه ، لاننا غادرنا المكان لنقوم بجولة نغني فيها سيرينادا (لحن يغنى ليلا في الهواء الطلق) ، لكن على أية حال ، لم يكن مؤكدا انهما قد ذهبا الى هناك،وقد ذكرت لي ماريا ألجاندرينا سيرفانتس التي أعرفها حق المعرفة ، ولا أشك أبدا في ما قالت : « أنهمــا لم يغادرا المنزل على الاطلاق » • ومن ناحية أخرى فقد ذهبــــا ينتظرانه في منزل كلوتيلد أرمنتا حيث كانا يعرفان ان كل فرد تقريبا سوف يتوقف هناك ، ما عدا سانتياجو نصار • ولقد قررا أمام المحقق : « لقد كان المكان الوحيد المفتوح » • وقد ذكرا لي بعد أن برئا : « آجــلا أو عاجــلا لا بــد وأن يخرج » • ومع ذلك فان كل فرد كان يعلم أن الباب الرئيسي لمنزل بلاسيدا لينيرو كان مغلقا دائما من الداخل ، حتى أثناء النهار ، وأن سانتياجو نصار كان يحمل معه دائما مفاتيح الباب الخلفي • وكان هذا الباب هو الــذي دخل خلاله الى المنزل ، بينما كان الاخوان فيكاريو في انتظاره لاكثر من

ساعة في الناحية الاخرى ، وحتى اذا كان سانتياجو نصار قد ترك المنزل من الباب الذي يطل على الميدان ، عندما ذهب لاستقبال الاسقف ، كان من الصعب على المحقق الذي صاغ المذكرة أن يدرك مثل ذلك التفسير غير المتوقع على الاطلاق •

لم يكن هناك أبدا موت متوقع بهذه الطريقة • فبعد أن باحت لهما اختهما بالاسم ، ذهب التوأمان الى الصندوق الموجود في زريبة الخنازير حيث كانا يحتفظان بأدوات الذبح ، واختارا أحسن سكينتين : واحدة للتقطيع طولها عشر بوصات وعرضها ٥ر٢ بوصة ، والسكين الاخر للتشذيب ، طولها سبع بوصات وعرضها بوصة ونصف • لفّا السكينتين في خرقة وذهبا لسنهما في سوق اللحوم حيث كان عدد قليل من الاكشاك قد فتحت أبوابها ، لم يكن هناك كثير من الزبائن في ذلك الوقت المبكر ، لكن أعلن ٢٢ فردا أنهم سمعوا كل ما قيل ، وقد اتفقت آراؤهم جميعا على أن السبب الوحيد الذي ذكره التوأمان يعني أنهما كانا يريدان أن يسمعهما شخص ما •

فوستينو سانتوس ، صديقي الجزار ، شاهدهما في الساعة الثالثة وعشرين دقيقة عندما بدأ في التو بفتح الاجزاء الداخلية في منضدته ، ولم يستطع أن يدرك سبب مجيئهما يوم الاثنين ، وفي ذلك الوقت المبكر جدا ، وهما ما زالا يرتديان حلل الزفاف القاتمة • وقد اعتاد فوستينو سانتوس رؤيتهما أيام الجمع ، لكن في وقت متأخر عن ذلك الوقت ، ويرتديان مريلتين من الجلد للذبح •

قال لي فوستينو سانتوس : « اعتقدت أنهما كانا سكرين لانهما لم ينسيا فقط كم كانت الساعة في ذلك الوقت بل نسيا أيضا أي يوم كان من أيام الاسبوع » • وقد ذكّرهما أنه كان يوم الاثنين •

وقد أجاب بابلو فيكاريو بطريقة طبيعية : « كل شخص يعرف ذلك أيها الغبي •• لقد جئنا ، فقط ، من اجل سن السكاكين » •

وقد سن الاثنان السكينتين على الحجر ، وبالطريقة التي اعتادا أن يفعلاها دائما : أمسك بيدرو السكينتين وأخذ يقلبهما فوق الحجر ، بينما كانا يتحدثان عن روعة حفل الزفاف مع بقية الجزارين •وقد اشتكى بعضهم من عدم حصوله على نصيبه من الكعكة بالرغم من كونهم من الاصدقاء العاملين• وقد وعدهما الاخوان فيكاريو بارسال نصيبهم اليهم في ما بعد• وأخيرا استطاع التوأمان أن يجعلا السكينتين تصدران أصواتا كما لو كانتا تغنيان فوق الحجر ، ولقد وضع بابلو سكينته بجانب المصباح ليرى توهج الصلب •

قال بابلو : « اننا ننوي قتل سانتياجو نصار » •

والواقع أن سمعتهما كأناس على خلق طيب كانت مسألة مؤكدة لدرجة أن أحدا لم يعر ما قالاه أي اهتمام • وقد ذكر الكثير من الجزارين نفس الكلام الذي ذكرته فيكتوريا جوزمان وكثير غيرها ممن شاهدهما في ما بعد : « لقد اعتقدنا ان ذلك كان هراء سكارى » • وكان علي أن أسأل الجزارين في وقت لاحق عما اذا كانت تجارة ذبح المواشي لا تكشف عن روح الشخص الميالة لقتل النفس البشرية • لكنهم احتجوا قائلين : « عندما تذبح ثورا كضحية فانك لا تجرؤ على النظر في عينيه » • وقد ذكر لي واحد منهم أنه لا يمكن أن يأكل لحم حيوان قام بذبحه ، وقال لي آخر انه لا يستطيع أن يذبح بقرة كان يعرفها من قبل ، والاقل من ذلك بكثير اذا كان قد شرب لبنها • ولقد ذكرتهم بأن الاخوين فيكاريو كانا يضحيان بالخنازير التي يربونها وأنهما كانا قريبين جدا منها لدرجة أنهما كانا ينادونها بأسمائها •

أجابني أحدهم قائلا : « هذا حقيقي ، لكن تذكّر انهما كانا لا يسمونها بأسماء الانسان لكن بأسماء الازهار » •

وكان فوستينو سانتوس هو الوحيد الذي أدرك وميض حقيقة تهديد بابلو فيكاريو ، فسأله مداعبا لماذا يجب عليهما أن يقتلا سانتياجو نصار بينما هنالك كثيرون غيره ، من الاغنياء ، الذين يستحقون الموت أولا •

فأجابه بيدرو فيكاريو : « سانتياجو نصار يعرف لماذا » •

وقال لي فوستينو سانتوس انه كان ما زال متشككا ، وأنه أبلغ ذلك لرجل بوليس جاء بعد ذلك بقليل لشراء رطل من الكبد لافطار العمدة • وكان رجل البوليس طبقا لمذكرة المحقق يدعى ليندرو بورني ، ومات في العام التالي مجروحا في الوريد التاجي بواسطة ثور أثناء الاحتفالات القومية • لذلك لم أستطع أبدا أن أتحدث معه ، لكن كلوتيلد أرمنتا أكدت لي أنه كان الشخص الاول الذي حضر الى متجرها عندما كان التوأمان جالسين •• منتظرين •

وقد حلّت كلوتيلد أرمنتا مكان زوجها خلف المنضدة • كان ذلك نظاما معتادا بينهما • وكان المحل يبيع اللبن في الفجر ، والمؤن خلال اليوم ، ثم يتحول الى بار بعد الساعة السادسة مساء • وكانت كلوتيلد ارمنتا تفتح المتجر في الثالثة والنصف صباحا ، أما زوجها الطيب ، دون رجيليو دي لافلور فكان يأخذ مسؤولية البار حتى وقت اغلاقه• لكن تلك الليلة كان يوجد الكثير من الزبائن الشاردين من حفل الزفاف لدرجة أنه ذهب الى النوم بعد الثالثة دون أن يغلق المتجر ، وكانت كلوتيلد أرمنتا قد استيقظت أكثر تبكيرا مما اعتادت لانها كانت تريد أن تبيع كل ما لديها قبل وصول الاسقف •

دخل الاخوان فيكاريو الى المتجر في الساعة الرابعة وعشر دقائق . في ذلك الوقت كانت المأكولات هي التي تباع ، لكن كلوتيلد أرمنتا باعت لهما زجاجة من الروم ليس فقط من أجل اعجابها الشديد الذي تكنه لهما ، ولكن أيضا لانها كانت تعبّر لهما عن شكرها العميق لارسالهما قطعة من كعكة الزفاف لها ، وقد شرب الاثنان الزجاجة بأكملها على جرعتين طويلتين، لكنهما ظلا متبلدي الحس . قالت لي كلوتيلد أرمنتا : « لقد كانا مصابين بالذهول ، ولم يتمكنا من رفع ضغط دمهما حتى بواسطة زيت المصباح » .

عندئذ خلع الاخوان فيكاريو سترتيهما وعلّق كل منهما سترته بحذر فوق ظهر مقعده ، وطلبا منها زجاجة أخرى . كان قميصاهما متسخين بالعرق الجاف . وقد كان اطلاق لحيتيهما ليوم واحد سببا في نظراتهما المتبلدة .

شربا الزجاجة الثانية ببطء أكثر ، جالسان ، ينظران باصرار ناحية منزل بلاسيدا لينيرو عبر الطريق حيث كانت النوافذ مظلمة . وكانت النافذة الكبرى المطلة على الشرفة هي نافذة غرفة نوم سانتياجو نصار . وقد سأل بيدرو فيكاريو كلوتيلد أرمنتا عما اذا كانت قد رأت أي ضوء في تلك النافذة ، فأجابته بالنفي ، لكن بدا لها هذا على أنه مجرد اهتمام غريب .

سألته كلوتيلد أرمنتا : « هل حدث شيء له ؟ »

فأجابها بيدرو فيكاريو قائلا : « لا .. مجرد أننا نبحث عنه لنقتله » .

كانت اجابته على السؤال تلقائية لدرجة أنها لم تستطع أن تصدق ان ما سمعته كان صحيحا . لكنها لاحظت أن التوأمين كانا يحملان اثنتين من سكاكين الجزارة ، ملفوفتين في خرق المطبخ .

سألت كلوتيلد أرمنتا : « هل يمكن للشخص أن يسال لماذا تريدان قتله في الصباح الباكر جدا ؟ »

فاجاب بيدرو قائلا : « انه يعرف لماذا » •

تفحصتهما كلوتيلد أرمنتا بجدية : كانت تعرفهما تماما لدرجة أنها كانت تستطيع أن تفرّق بينهما ببساطة ، خصوصا بعد أن عاد بيدرو بيداريو من الجيش •

قالت لي : « كانا يبدوان كطفلين » • وتلك الفكرة كانت تخيفها لانها كانت تشعر دائما أن الاطفال هم وحدهم القادرون على فعل كل شيء • لذلك انتهت من ملء ابريق اللبن وذهبت لتوقظ زوجها كي تخبره بما يحدث في المحل • أنصت اليها دون ريجيليو دي لافور وهو نصف مستيقظ • قال لها : « لا تكوني سخيفة •• هذان الاثنان لن يقتلا أحدا وخصوصا اذا كان شخصا غنيا » •

عندما عادت كلوتيلد أرمنتا الى المحل ، كان التوأمان يتحدثان مع الضابط ليندرو بورني الذي جاء ليشتري اللبن للعمدة ، لم تسمع ما الذي كانوا يتحدثون عنه ، لكنها اعتقدت أنهما حدثاه عن شيء ما بشأن خطتهما ، وقد بدا لها ذلك من الطريقة التي كان ينظر بها الضابط الى السكينتين وهو يغادر المكان •

وكان الكولونيل لازارو ابونتي قد استيقظ قبل الرابعة بقليل وانتهى من حلق ذقنه عندما روى له الضابط ليندرو بورني عن نوايا الاخوين فيكاريو • وكان الكولونيل قد سوّى الكثير من المشاجرات بين الاصدقاء في الليلة السابقة لدرجة أنه لم يكن على عجلة لتسوية مشاجرة أخرى • ارتدى ملابسه بهدوء ، وربط رباط عنقه عدة مرات حتى أصبح

مقبولا ، وحول رقبته علّق وشاح مريم العذراء ، لاستقبـال الاسقف ، وبينما كان يتناول افطاره من الكبد المشوي المخلوط بحلقات البصـل ، قالت له زوجته بمنتهى الاثارة ان باياردو سان رومـان قد أعاد انجيـلا فيكاريو الى منزلها ، لكنه لم يأخذ المسألة بطريقة درامية •

قال الكولونيل بسخرية : « يا الهي •• ماذا سيعتقد الاسقف ؟ » • ومع ذلك ، وقبل الانتهاء من الافطار تذكّر ما أخبره به الضابط ليـنـدرو بورني ، فجمع بين ما سمع من زوجته وما ذكره الضابط ، واكتشف على الفور أن الخبرين يكمل كل منهما الآخر مثل شقي اللغز •

عندئذ ذهب الكولونيل الى الميدان ، سائرا على طول الطريق الـى رصيف الميناء الجديد حيث المنازل التي بدأت تنبض بالحياة لـوصول الاسقف • وقد ذكر لي الكولونيل لازارو ابونتي : « يمكن أن أتذكر بكل تأكيد أن الساعة كانت الخامسة تقريبا وأن السماء كـانت قـد بـدأت تمطر » • وعلى طول الطريق أوقفه ثلاثة من الاهالي وأخبروه بسرية ان الاخوين فيكاريو في انتظار سانتياجو نصار ليقتلاه ، لكن واحـدا منهم فقط هو الذي استطاع أن يخبره عن مكانهما •

وجدهما في محل كلوتيلد أرمنتا • وقد أخبرني بمنطقه الشخصي : « عندما رأيتهما اعتقدت أنهما لا شيء أكثر من زوج كبير من المخادعين ، لانه لم يبد عليهما السكر كما اعتقدت » • ولم يستجوبهما الكولونيـل بشأن ما ينويان عمله ، بل أخذ منهما السكينتين وأمرهما أن يذهبا للنوم• تعامل الكولونيل معهما بنفس ثقته في نفسه التي كانت تملأه عندما كـان يبدي عدم اهتمامه بتحذير زوجته • قال لهما : « فقط تصورا ما الـذي سيقوله الاسقف اذا وجدكما في هذه الحالة » •

تركا المكان . كانت كلوتيلد أرمنتا تعاني من خيبة أمل اخرى لموقف العمدة العادي لانها تصورت أنه كان يجب عليه القاء القبض على التوأمين حتى تتضح الحقيقة . أراها الكولونيل السكينتين كخاتمة نهائية لهذا الجدل .

قال الكولونيل : « الآن لم يعد لديهما أي شيء يقتلان به أحدا »

وقالت كلوتيلد ارمنتا : « ليس هذا هو المهم .. انما المهم أنك حجبتهما عن واجب فظيع ألقي على عاتقيهما » . لانها أحست بذلك ، فقد كانت متأكدة من أن الاخوين فيكاريو لم يتوقا للوفاء بالقتل بقدر ما كانا يريدان شخصا ما يقدم لهما معروفا بايقافهما عما كانا ينتويان . لكن الكولونيل أبونتي كان في حالة سلام مع روحه .

قال الكولونيل : « لن يقبض على أحد لمجرد الاشتباه .. ان المسألة الآن مجرد تحذير لسانتياجو نصار .. وكل سنة وأنت طيبة » .

ودائما ما تتذكر كلوتيلد أرمنتا أن مظهر الكولونيل ابونتي سبّب لها الشعور بالشفقة ، لكن من ناحية أخرى فانني أتذكره كرجل سعيد بالرغم من أن لحظات السعادة في حياته قليلة ، بسبب التمارين الروحية المنفردة التي تعلمها في رياضة الكرة الخشبية . كان سلوكه في يوم الاثنين هذا دليلا نهائيا على سخافته .والحقيقة أنه لم يفكر في سانتياجو نصار مرة أخرى حتى شاهده على رصيف الميناء . عندئذ هنأ نفسه لانه اتخذ قرارا سليما .

والواقع أن الاخوين فيكاريو قد تكلما عن خطتهما لاكثر من اثني عشر شخصا من الذين ذهبوا لشراء اللبن ، وانتشرت هذه الخطة بين الجميع قبل الساعة السادسة . وبدا من المستحيل لكلوتيلد أرمنتا ، أنهم

في المنزل ، عبر الطريق لا يعرفون شيئا • انها لم تعتقد أن سانتياجو نصار كان هناك لانها لم تشاهد ضوءا في حجرة نومه ، وطلبت من كل من قابلتهم أن يحذروه اذا ما شاهدوه • حتى انها أرسلت رسالة الى الاب امادور خلال قيامه بأعمال الرهبنة ، والذي جاء لشراء اللبن للراهبات • وبعد الساعة الرابعة عندما رأت النور مضاء في مطبخ منزل بلاسيدا لينيرو ، أرسلت رسالة عاجلة الى فيكتوريا جوزمان عن طريق امرأة شحاذة كانت تذهب اليها كل يوم لتطلب قليلا من اللبن باسم الاحسان • وعندما علا صوت سفينة الاسقف ، كان كل شخص تقريبا على استعداد لاستقباله وكان هناك عدد قليل منا لا يعرف أن التوأمين كانا في انتظار سانتياجو نصار ليقتلاه ، بالاضافة الى ذلك ، كانت الاسباب التي دفعت بهما لقتله معروفه تماما حتى تفاصيلها الصغيرة •

لم تكن كلوتيلد أرمنتا قد انتهت من توزيع اللبن ، عندما عاد الاخوان فيكاريو ومع كل منهما سكين أخرى ملفوفة في ورق الجرائد • كانت احدى السكينتين للتقطيع ذات شفرة قوية صدئة طولها ١٢ بوصة وعرضها ٣ بوصات والتي ضمها بيدرو فيكاريو الى قطعة معدنية من منشار مطعم بالخشب لان السكاكين الالمانية كانت نادرة بسبب الحرب •

أما السكين الاخرى فكانت أقصر لكنها عريضة ومقوسة ، وقد قام المحقق بعمل رسومات تخطيطية للسكينتين في مذكرته ، وربما فعل ذلك لانه وجد صعوبة في وصفهما ، وكل ما جازف بقوله هو أن السكينتين كانتا تشبهان السيف المعقوف الصغير الحجم • بهاتين السكينتين ارتكبت الجريمة ، وكانت كل منهما بدائية في شكلها ولكنها استخدمت كثيرا •

ولم يستطع فوستينو سانتوس أن يدرك ما الذي حدث • قال لي : « لقد جاء التوأمان لسن السكينتين للمرة الثانية ، ولقد صاحا أكثر من

مرة كي يسمعهما الناس أنهما كانا في طريقهما ليمزقا بطن سانتياجو نصار ويخرجا احشاءه ، لذلك اعتقدت أنهما كانا يمزحان ». خصوصا انني لم أعط أي اهتمام للسكينتين واعتقدت انهما نفس السكينتين اللتين جاءا بهما في المرة الاولى » . هذه المرة على اية حال لاحظت كلوتيلد ارمنتا منذ اللحظة التي شاهدتهما فيها يدخلان عليها انه لم يكن لديهما نفس التصميم كما كان من قبل .

في الواقع كان لديهما نفس الاحساس الاول وهو التراجع ، ليس فقط لان ما بداخلهما كان يختلف كثيرا عما يبدو من مظهرهما الخارجي لكن لانهما كانا في الطوارىء الصعبة التي كانا يتعرضان لها ، يبرهنان على أن شخصيتهما على النقيض مما يظهر منهما . ونحن كأصدقاء لهما ، لاحظنا ذلك منذ ايام المدرسة الثانوية . كان بابلو فيكاريو يكبر أخاه التوأم بست دقائق ، وكان أكثر خيالا وتصميما حتى سن المراهقة . وكان بيدرو فيكاريو يبدو لي دائما أكثر عاطفية ، وفوق ذلك كان يبدو فاشستيا . وقد تقدما للخدمة العسكرية وهما في سن العشرين ، وتم اعفاء بابلو فيكاريو من أجل رعاية الاسرة . وقام بيدرو فيكاريو بالخدمة في دورية نابوليس لمدة احد عشر شهرا . وكان نظام الجيش الذي زاده خوفا من الموت قد أنضج ميله للقيادة ، فتعود حسم القرارات بالنسبة لاخيه . وقد عاد اخي من الجيش بمرض الافرازات الانفية الذي كان يقاوم اكثر الوسائل وحشية في العلاج العسكري ، وأيضا الحقن الزرنيخية ، ومطهرات البرمنجنات الخاصة بالدكتور ديونيسيو اجوران . وهذه الاشياء لا تستخدم الا في السجن ، فقط ، كوسيلة للعلاج ونحن ، أصدقاؤه ، اتفقنا في الرأي على أن بابلو فيكاريو قد طور فجأة تبعيته الغريبة لاخيه الاصغر عندما عاد بيدرو فيكاريو بروح الثكنات العسكرية وبالقصة الخادعة التي فيها يخلع قميصه لاي شخص يريد أن يرى جرح رصاصة

على جانبه الايسر • وقد بدأ أيضا في تنمية نوع من الحماس بالنسبة لذلك الرجل الكبير (يقصد أخاه) لدرجة انه كان يتصور انه حتى افرازات انفه تعتبر بمثابة ميدالية حرب •

ويعتبر بيدرو فيكاريو ، طبقا لتصريحاته ، أنــه صاحب قرار قتــل سانتياجو نصار ، وفي المقام الاول يعتبر أخوه مجرد تابع له • ولكنــه كان أيضا الشخص الذي اعتبر أنه قد وفّى بواجبه عندما جردهما العمــدة من السلاح ، وعندئذ يعتبر بابلو فيكاريو أنه هو الذي تولى القيادة • هــذا ولم ينوه أي منهما عن عدم الاتفاق في تصريحاته المنفصلة للمحقق • لكن بابلو فيكاريو أكد لي عدة مرات أنه لم يكن من السهل عليه أن يقنع أخاه بشأن قرارهما النهائي • ربما لم تكن له أية أهمية ولم يتعد كونه موجةمن الرعب ، لكن الحقيقة هي أن بابلو فيكاريو دخل زريبة الخنــازير بمفرده ليحضر السكينتين الاخريين ، بينما كان أخوه يتعذب شيئافشيئا ، محاولا أن يتبول تحت أشجار التمر هندي • وقد قال لي بيدرو فيكاريو في حديث خاص بيننا : « ان أخي لم يكن يعرف كيف كان احساسي بذلك •• لقد كان البول يشبه زجاجا مطحونا » • ولقد وجده بيدرو فيكاريو يحتضن الشجرة عندما عاد ومعه السكينتان • قال لي : « كان مبتلا بالعرق البارد من شدة الالم وحاول أن يقنعني بالذهاب بمفردي لانه كان في حــالة لا تسمح له بقتل أي شخص » • وجلس على احدى الدكاك الخشبية التي أقيمت تحت الاشجار من أجل حفل الزفاف ، ثم أنزل بنطلونه حتى ركبتيه• [قال] لي بابلو فيكاريو : « لقد قضى حوالى نصف ساعة لتغيير الشاش الذي كان يلف به قضيبه » • والواقع أنه لم يتأخر أكثر من عشر دقائق ، لكنه كان شيئا صعبا للغاية ، ومربكا بالنسبة لبابلو فيكاريو لدرجة أنه فسر ذلك على أنه كان بمثابة حيلة جديدة من ناحية أخيه ليضيع الوقت حتى الفجر •

لذلك وضع السكين في يده وسحبه الى الخارج ، تقريبا بالقوة للبحث عن شرف أختهما الضائع •

قال له : « ليس هناك طريق للخلاص من ذلك •• انها كما لو كانت قد حدثت بالفعل » •

تركا المكان عن طريق بوابة زريبة الخنازير، ومعهما السكينتان دون لفافة يطاردهما نباح الكلاب في الفناء • وكان الوقت بداية النهار • وتذكر بابلو فيكاريو : « انها لم تكن تمطر » • وتذكر بيدرو : « على العكس تماما •• كانت هناك رياح آتية من البحر وكان من الممكن ان تمد النجوم الموجودة بالسماء باصبعك » •

وكانت الاخبار قد انتشرت تماما في كل مكان مما جعل (هورتينسيا بوت) تفتح بابها بالضبط عندما كانا يمران بمنزلها ، وكانت أول امرأة تبكي من أجل سانتياجو نصار • قالت لي : « لقد اعتقدت أنهما قتلاه بالفعل لانني رأيت السكينتين في الضوء المنبعث من مصباح الشارع . وقد بدا لي كما لو كانت الدماء تقطر منهما » • واحد من المنازل القليلة المفتوحة على هذا الشارع السيء كان منزل بروديسيا كوتس خطيبة بابلو فيكاريو، وكلما كان التوأمان يمران به في مثل ذلك الوقت وخصوصا أيام الجمع وهما في طريقهما الى السوق ، كانا يدخلان ليشربا أول فنجان من القهوة • دفعا الباب المؤدي الى الفناء والمحاط بالكلاب التي تعرفت عليهما في ضوء الفجر ، وقاما بتحية والدة بروديسيا كوتس في المطبخ • لم تكن القهوة قد أعدت بعد •

قال بابلو فيكاريو : « سنترك القهوة ونشربها فيما بعد • نحن الان على عجلة » •

فقالت : « أستطيع أن أتصور هذا يا أولادي . الشرف لا ينتظر » .

لكن على أية حال ، فقد انتظرا . عندئذ فكر بيدرو فيكاريو أن أخاه يضيع الوقت عن عمد . وأثناء تناولهما القهوة دخلت برودينسيا كوتس الى المطبخ وهي في كامل تفتحها الانثوي ، تحمل لفة من ورق الجرائد القديمة لتنشط النار في الموقد . قالت لي : « كنت أعلم ما الذي عقدا العزم عليه ، ولم أوافق فقط ، بل كنت لا أتزوجه على الاطلاق اذا لم يكن قد فعل ما يجب أن يفعله رجل » . وقبل مغادرة المطبخ أخذ بابلو فيكاريو منها ورقتين من ورق الجرائد وأعطى واحدة منها لاخيه ليلف بها السكينتين . ووقفت برودينسيا كوتس منتظرة في المطبخ حتى شاهدتهما يغادران باب الفناء وظلت منتظرة لمدة ثلاث سنوات دون لحظة خوف حتى خرج بابلو فيكاريو من السجن وأصبح زوجها مدى الحياة .

قالت لهما : « اهتما بأحوالكما » .

وعلى هذا فقد كان لدى كلوتيلد أرمنتا سبب معقول عندما بدا لها أن التوأمين لم يكونا ثابتي العزم كما كانا من قبل ، فقدمت لهما زجاجة من الروم على أمل أن تسكرهما تماما . قالت لي : « ذلك اليوم تحققت كيف أننا نحن النساء وحيدات في هذا العالم ! » . ولقد طلب بيدرو فيكاريو أن يستعير أدوات حلاقة زوجها ، فأحضرت له الفرشاة والصابون ومرآة تعلق على الحائط، وموسى حلاقة جديد. لكنه حلق بسكين الذبح . ولقد تصورت كلوتيلد أرمنتا ان ذلك كان ذروة اللذة في تعذيب النفس .

وقالت لي : « كان يشبه القاتل في الافلام » . لكن طبقا لما فسره لي فيما بعد ، وكان هذا صحيحا ، أنه تعلم في الجيش أن يحلق بالموسى نفسه مباشرة ولم يعد يستطيع الحلاقة بأية طريقة أخرى منذ ذلك الوقت .

أما من جهة أخيه فكان يحلق ذقنه بطريقة أكثر تواضعا •• أي بـالموسى العادي الخاص به : دون رجيليو دي لافلور •

وأخيرا شربا الزجاجة في صمت ، وبمنتهى البطء ، محدقين بنظـرات ساذجة المستيقظين مبكرا والمطلين من النافذة المظلمة في المنزل الواقع عبر الطريق •• بينما كان هناك زبائن مزيفون يشترون لبنا ليسوا في حاجة اليه والسؤال عن أصناف طعام ليست موجودة ، وكانوا يدخلون ويخرجون بغرض التأكد من حقيقة ما سمعوه ، من أنهما كانا في انتظار سانتياجـو نصار ليقتلاه •

هذا ولم ير الاخوان فيكاريو نور النافذة مضاء •

دخل سانتياجو نصار المنزل في الساعة الرابعة وعشرين دقيقة ، لكنه لم يشعل أي ضوء كي يصل الى حجرة نومه ، لان المصباح المعلـق على السلم كان ما يزال مضاء أثناء الليل • ألقى سانتياجو نصار بنفسه عـلى السرير ، في الظلام ، بملابسه فلم تكن لديه غير ساعة واحـدة ينامهـا ، وهكذا وجدته فيكتوريا جوزمان على حالته تلك عندمـا جـاءت اليـه لتوقظه كي يستطيع مقابلة الاسقف • وقد كنا سويا عند ماريا الجاندرينا سيرفانتس الى ما بعد الثالثة ، عندما صرفت بنفسها الموسيقيين ، وأطفأت الانوار في ساحة الرقص كي تتمكن بناتها الظريفات الملونات من الذهاب بأنفسهن ليأخذن قسطا من الراحة • لقد كن يعملن لمدة ثلاثة أيـام دون توقف ، أولا يقمن برعاية ضيوف الشرف سرا ، ثم يتركن أنفسهن سائبات ، والابواب مفتوحة لامثالنا نحن الذين لم نستطع أن نطفيء شهواتنـا عن طريق الزواج • وماريا الجاندرينا سيرفانتس التي اعتدنا أن نقول عنهـا انها ممكن أن تذهب لتمارس الجنس مرة واحده فقط ، وهذه المرة تصل الى درجة الموت ، كانت أكثر اناقة ورقة من أية امرأة أخرى عرفتها في حياتي

على الاطلاق •• وأكثر عطاء في الفراش ، ولكنها أيضا أكثر صرامة • لقد ولدت وتربت هنا ، وهنا عاشت في منزل ذي أبواب مفتوحة ، بحجرات متنوعة للايجار ، وفناء ضخم للرقص به أجراس فانوسية الشكل تباع في الاسواق الصينية في باراما ريبو • انها هي التي أودت بعذرية جيلي • لقد علمتنا أكثر مما يجب أن نتعلمه ، ولكنها علمتنا فوق ذلك أنه ليس هناك مكان في الحياة أشد حزنا من سرير خال • ولقد فقد سانتياجو نصار صوابه في أول مرة رآها وقد حذرته: «الصقر الذي يطارد الفريسة لا يبحث الا عن حياة مليئة بالالم » • لكنه لم يستمع الي وانبهر بنداءات ماريا ألجاندرينا سيرفانتس الخادعة • كانت هي هواه المجنون، وسيدته التي أسالت دموعه وهو في سن الخامسة عشرة، الى أن دفعه ابراهيم نصار من الفراش بالسياط وحبسه أكثر من عام في ركن « الوجه المقدس » ، ومنذ ذلك الوقت ظل الاثنان مرتبطين بعلاقة عاطفية جادة ، لكن بدون فوضى الحب ، وكانت تكن له احتراما كبيرا لدرجة أنها لم تذهب على الاطلاق لتشارك أحدا في فراشه اذا كان سانتياجو نصار موجودا • وخلال تلك العطلات الماضية كانت تبعدنا مبكرا معتذرة بأنها متعبة لكنها كانت تترك الباب مفتوحا ، والمصباح مضاء في الصالة كي أتمكن من الدخول سرا •

كانت لدى سانتياجو نصار موهبة ساحرة للتنكر ، وكانت تسليته المفضلة هي أن يثير اضطراب كيان الفتيات الملونات • كان يسلب ملابس بعضهن فتتنكر الاخريات في ملابس من سلبت ملابسهن وبذلك ينتهي الامر بأن تحس كل منهن بأنها غريبة على نفسها وبأنها تشبه الاخرى التي لم تكنها، وفي مناسبة معينة وجدت واحدة منهن نفسها وقد أخذت شكل واحدة أخرى تماما لدرجة أنها صرخت مهاجمة : « انني أحس كما لو أنني قد هبطت من داخل المرآة » •

لكن في تلك الليلة لم تترك ماريا الجاندرينا سيرفانتس سانتياجو نصار يشبع رغباته لآخر مرة في حياته كمقلد ، وقد فعلت ذلك متعللة بأعذار سخيفة لدرجة أن الاثر السيء الذي تركته تلك الذكرى غيرت حياته .

وهكذا أخذنا الموسيقيين معنا للقيام بجولة للعزف تحت مخادع المعشوقات واستكملنا الحفل بطريقتنا ، بينما كان التوأمان فيكاريو في انتظار سانتياجو نصار لقتله . ولقد كان هو الذي داهمته الفكرة فيحوالى الساعة الرابعة للصعود الى هضبة الارمل زيوس والغناء من اجل المتزوجين حديثا .

ولم نغن فقط تحت النوافذ ، بل أطلقنا الصواريخ والالعاب النارية في الحدائق ، ومع هذا لم نلاحظ أية اشارة تدل على وجود حياة داخل بيت المزرعة . ولم يخطر ببالنا أنه لا يوجد أحد هناك ، خصوصا وان العربة الجديدة كانت بجانب الباب وغطاؤها ما زال مربوطا الى أسفل بأشرطة الساتان وباقات أزهار البرتقال المصنوعة من الشمع ، تلك التي كانوا قد علقوها على العربة أثناء الاحتفالات .

أما أخي لويس انريك الذي كان يلعب الجيتار مثل محترف ، في ذلك الوقت ، فقد ارتجل أغنية تحمل معنيين متعلقين بالزواج وذلك تكريما لهما . حتى ذلك الوقت لم تكن السماء قد أمطرت . على العكس ، كان القمر مشرقا في السماء ، والجو صاف ، وفي قاع الجبل كان من الممكن ان نرى قطرات من الضوء من مشعل (القديس المو) الموجود في الجبانة. وفي الناحية الاخرى كان يمكنك أن تكتشف بساتين أشجار الموز الزرقاء في ضوء القمر ، والمستنقعات الحزينة ،والخط الفوسفوري للبحر الكاريبي على الافق .

وقد أشار سانتياجو نصار الى خط ضوء متقطع في البحر وقال لنا ان ذلك الخط الرفيع هو الروح المعذبة لسفينة الرقيق التي غرقت بحمولة الزنوج القادمين من السنغال عن طريق المدخل الرئيسي لميناء كورتا جينا دي أنديانز . ولم يكن من الممكن التفكير في أن ضميره كان مصدر قلق له، بالرغم من أنه في ذلك الوقت لم يعرف أن حياة انجيلا فيكاريو الزوجية السريعة الزوال قد انتهت منذ ساعتين .

لقد أخذها بايياردو سان رومان الى منزل والديها سيرا على الاقدام كي لا تكشف ضوضاء السيارة عن سوء حظه مقدما ، وعاد الى منزله وحيدا ، بعد الرحيل المفاجىء ــ والاضواء مطفأة ــ الى منزل مزرعة الارمل زيوس البهيجة .

عندما نزلنا من فوق التل ، دعانا أخي لنتناول افطارنا من السمك المقلي عند واحد من أكشاك الطعام الموجودة في السوق ، لكن سانتياجو نصار كان ضد ذلك لانه كان يريد أن ينام لمدة ساعة قبل أن يصل الاسقف .

ذهب سانتياجو نصار على طول ضفة النهر مع كريستو بيدويا، مارا بالاماكن المخصصة لطعام الفقراء والتي بدأت اضاءتها عن طريق الميناء القديم ، وقبل أن ينعطف حول الناصية لوّح بيده مودعا . كانت هذه هي آخر مرة نراه فيها .

كريستو بيدويا الذي كان قد وافق على لقاء متأخر على رصيف الميناء ، تركه عند باب منزله . نبحت الكلاب كالعادة عندما سمعته داخلاً لكنه هدّأ من روعها في الضوء المغبش برنين مفاتيحه . وكانت فيكتوريا جوزمان تراقب اناء القهوة فوق الموقد عندما مر بالمطبخ في طريقه الى

داخل المنزل . نادته فيكتوريا جوزمان قائلة : « يا بيضة ستكون القهوة جاهزة حالا » .

قال لها سانتياجو نصار انه سيتناولها فيما بعد ، وطلب منها أن تخبر دفينا فلور كي توقظه في الساعة الخامسة والنصف وتعد له ملابس نظيفة ، تماما مثل هذه التي كان يرتديها . وبعد لحظة من ذهابه الى السرير تلقت فيكتوريا جوزمان رسالة من كلوتيلد أرمنتا والتي أرسلتها عن طريق شحاذة اللبن . وفي الساعة الخامسة والنصف نفذت فيكتوريا جوزمان اوامره بأن أيقظته، ولكنها لم ترسل له دفينا فلور ، وذهبت بنفسها الى حجرة النوم ومعها حلة من التيل الخالص ، ذلك لانها كانت لا تضيع فرصة على الاطلاق كي تحتفظ بابنتها بعيدة عن مخالب السيد .

كانت ماريا الجاندرينا سيرفانتس قد تركت باب المنزل مفتوحا . استأذنت أخي وعبرت الشرفة حيث كانت قطط الفتيات الملونات غائصة بين أزهار التوليب ، وفتحت باب حجرة النوم دون أن أطرقه . كانت الاضواء مطفأة ، ولكن بمجرد دخولي تنفست رائحة امرأة دافئة ، ورأيت عيون نمرة مؤرقة في الظلام ، وعندئذ لم أدرك من أكون حتى بدأت الاجراس تدق .

في طريقه الى منزلنا ، دخل أخي محل كلوتيلد أرمنتا لشراء بعض السجائر . كان مخمورا جدا لدرجة أن ذكرياته عن تلك المشاجرة كانت مشوشة تماما ، لكنه لم ينس على الاطلاق المشروب المميت الذي قدمه له بيدرو فيكاريو . قال لي : « كان (الليكور) كالنار » .

أما بابلو فيكاريو الذي كان مستغرقا في النوم ، فقد استيقظ فجأة عندما سمعه يدخل المحل ، وأظهر له السكين .

قال له : « اننا سوف نقتل سانتياجو نصار » •

لا يتذكر أخي ذلــك ، لكنه قــال لي عدة مرات : « لكن حتى لو تذكرت ، فانني لم أكن أصدق ما سمعته •• من كان يمكن أن يفكر أن التوأمين سيقتلان أحدا خصوصا بسكين خنزير •

وعندئذ سألاه أين كان سانتياجو نصار لانهما شاهدا الاثنين سويا، لم يتذكر أخي اجابته هو الآخر ، ولكن كلوتيلد أرمنتا والاخوين فيكاريو اصيبوا بالفزع عندما عرفوا أن هذه الواقعة قد تجنب ذكرها في المذكرة وقدمت في اعلان منفصل • وطبقا لأقوالهم فقد ذكر أخي : «مات سانتياجو نصار » • ثم رسم علامة الصليب على صدره وتعثر وهو في طريقه للخروج، وفي منتصف الميدان عبر الطرقات مع الأب أمادور • كان في طريقــه الى رصيف الميناء في ردائه الكهنوتي يتبعه مساعده الذي كان يقرع الجرس ، ومجموعة من مساعديه يحملون الذبيحــة من اجل قــداس الاسقف • ولقد رسم الاخوان فيكاريو علامة الصليب على صدريهمــا عندما رأياهم يمرون •

وقد أخبرتني كلوتيلد ارمنتا أنهما فقدا آخر أمــل لهما عنــدما مر القسيس بجانب المحل • وقالت : « لقد اعتقدت أنه لم يتسلم رسالتي » • ومع ذلك فقد اعترف الاب أمادور بعد عدة أعــوام ، وبعد أن كان قد اعتزل العالم في منزل في (كالاخال) ،أنه في الواقع كان قد تســلم رسالة كلوتيلد ارمنتا وتسلم أيضا غيرها من الرسائل الاكثر قطعية عندما كان يستعد للذهاب الى رصيف الميناء • وقرر لي : « الحقيقة انني لم أعرف ماذا أفعل • وكان أول ما خطر لي ان ذلك ليس من اختصاصي بل من اختصاص السلطات المدنية ، ولكنني قررت ان اقول شيئا عن ذلك لبلاسيدا لينيرو عندما أمر بمنزلها » • ومع ذلك عندما عبر الميدان

نسي تماما ما كان قد عقد العزم عليه . ولقد قال لي : « لا بد وأن تدرك أن الاسقف كان قادما في هذا اليوم المشؤوم » . وفي لحظة الجريمة أحس باليأس ، وكان في غاية الاشمئزاز من نفسه لان الشيء الوحيد الذي استطاع ان يفكر فيه هو أن يدق جرس انذار الحريق .

دخل أخي لويس انريك الى المنزل عن طريق باب المطبخ الذي تركته أمي مفتوحا حتى لا يسمعنا أبي عند حضورنا .. ذهب الى الحمام قبل أن يأوي الى الفراش ، لكنه استغرق في النوم وهو جالس على التواليت ، وعندما استيقظ أخوه (جيم) ليذهب الى المدرسة وجده ممددا على الارض ووجهه يلاصق القيشاني ، ويغني وهو نائم . ولم تستطع أختي الراهبة ، التي لم تكن تنوي الذهاب لانتظار الاسقف لانها كانت تعاني من صداع حاد جدا بسبب مشروب عنيف ، أن توقظه وقالت لي : « كانت الساعة تدق الخامسة عندما دخلت الحمام » .

وفيما بعد ، عندما دخلت أختي مارجوت لتستحم قبل ذهابها الى رصيف الميناء ، استطاعت بمجهود كبير أن تجره الى حجرة نومه . وبصرف النظر عن نومه فانه سمع هدير مركب الاسقف دون ان يستيقظ ثم استغرق في نوم عميق ، مرهقا بسبب ما شربه من خمر ، الى ان دخلت أختي الراهبة الى حجرة النوم ، تحاول ارتداء لباس الراهبات وهي في غاية السرعة ، وأيقظته بصرختها المجنونة قائلة : « لقد قتلوا سنتياجو نصار » .



كان التمزيق الناتج عن السكينتين مجرد بداية للتشريح الصارم للجثة لدرجة أن الاب جيرمان أمادور وجد نفسه مضطرا الى أن يفعل هذا في غياب الدكتور ديونيسيو أجوران • وقد قال لي القسيس الهرم في منعزله في كالافيل : « كان يبدو كما لو كنا قد قتلناه كلية ومرة أخرى بعد أن مات ، لكنه كان أمر من العمدة ، وأوامر من ذلك الهمجي •• هؤلاء الاغبياء ، كما كان واضحا ، لا بد من اطاعتها » •

لم تكن الجثة جاهزة تماما • وفي فوضى ذلك الاثنين العبثي قام الكولونيل أبوتني بالاتصال تلفونيا وعلى عجل بمحافظ المقاطعة الذي فوضه بأن يتخذ الخطوات التمهيدية حتى يرسل اليه قاضيا للتحقيق • كان العمدة قائد فرقة فرسان سابقا ، ولم تكن له خبرة في مسائل القانون• وكان مغرورا جدا ليسمح لنفسه بسؤال أي شخص ليعرف منه كيف يجب أن يبدأ • والشيء الاول الذي أزعجه كان تشريح الجثة • أما كريستو بيدويا الذي كان طالب طب فقد استطاع ان يبتعد عن هذا الموضوع بسبب صداقته الوثيقة لسنتياجو نصار ، ولقد تصور العمدة أن الجثة يمكن أن يحتفظ بها في الثلاجة حتى يعود دكتور ديونيسيو اجوران ، لكنه لم يستطع أن يجد ثلاجة بحجم الانسان ، والثلاجة الوحيدة التي كانت بالسوق وكان ممكنا أن تفي بالغرض ، كانت غير صالحة للاستعمال •

كانت الجثة معروضة للناس في منتصف حجرة المعيشة ، راقدة

على سرير حديدي ضيق بينما كانوا يقومون بعمل تابوت غالي الثمن لها • وكانوا قد جلبوا المراوح من حجر النوم ومن بعض المنازل المجاورة ولكن كان هناك العديد من الناس المتشوقين لرؤيتها لدرجة أنهم اضطروا لازاحة الاثاث وهدم أقفاص العصافير وأصص النباتات ، وهكذا كانت الحرارة لا تحتمل •

صرخت في وجهي : « ساعدني •• انها تريد أكل أحشائه » •

حبسناها في الاسطبل • وقد أمرت بلاسيدا لينيرو بارسالهـا الى مكان بعيد الى أن تنتهي الجنازة • لكن قرب الظهر ، لم يعرف أحـد كيف هربت واندفعت بجنـون الى داخل المنزل ، وهكـذا ولاول مرة فقدت بلاسيدا لينيرو سيطرتها على نفسها • صرخت : « هذه الكلاب القذرة •• اقتلوها » •

وقد نفذ الامر على الفور وخيم السكون على المنزل مرة أخرى • وحتى تلك اللحظة لم يكن هنالك أي اهتمام على الاطلاق بحالة الجثة •

ظل الوجه سليما ، بنفس التعبير الذي انطبع عليه عندما كان يغني وكان كريستو بيدويا قد أعاد الامعاء الى مكانها ، ولف الجثة بشريط من التيل ، ومع ذلك ، ففي المساء بدأ السائل الاحمر يندفع من الجروح ويجذب الذباب ، وظهرت بقعة ارجوانية على شفته العليا وانتشرت ببطء شديد ، مثل ظل سحابة فوق الماء ، حتى وصلت الى بداية شعر رأسه • ووجهه الذي كان دائما هادئا ، انطبع عليه تعبير عدائي فغطته أمـه بمنديل • وعندئذ أدرك الكولونيل ابوتني أنهم لا يستطيعون الانتظار أكثر من ذلك ، وأمر الاب أمادور أن يقوم بالتشريح قائلا : « سيكون في حالة أسوأ لو دفناه بعد اسبوع » •

كان القسيس قد درس الطب والجراحة في سلامانكا ، لكنه دخل المعهد اللاهوتي قبل تخرجه ، وحتى العمدة كان يعلم أن تشريحه للجثة لن تكون له صفة قانونية . ومع ذلك فانه أمره ان ينصاع للامر . لقد تمت مذبحة في المدرسة الثانوية بمساعدة الصيدلي ، الذي دون بعض الملاحظات ، وطالب بالسنة الاولى بكلية الطب كان موجودا هنا في الاجازة . وكان متاحا لهم أدوات قليلة تصلح فقط لجراحة بسيطةوالباقي كان أدوات حرفيين . لكن بالرغم من العمل المدمر بالجسد ، فان تقرير الاب أمادور كان يبدو معقولا ، وقد أرفقه المحقق في المذكرة كدليلهام.

سبعة من الجروح العديدة كانت مميتة ، كان الكبد عبارة عن شرائح نتيجة لجرحين غائرين على الجانب الامامي . وكان بالمعدة أربع طعنات ، واحدة منها عميقة لدرجة أنها تجاوزتها ومزقت البنكرياس ، وكان به ستة ثقوب أخرى أقل عمقا في القولون المستعرض وجروح مضاعفة في الامعاء الدقيقة . وكان الجرح الوحيد في الظهر علىمستوى الفقرة الثالثة في أسفل الظهر قد اخترق الكلية اليمنى . وكانت الفجوة البطنية ممتلئة بجلطات من الدم ، وفي منتصف مستنقع المحتوياتالمعدية ظهرت ميدالية « عذراء كارمل » التي كان سانتياجو نصار قد ابتلعها في الرابعة من عمره . واظهرت الفجوة الصدرية ثقبين : واحد في المسافة الضلعية اليمنى والذي أثر على الرئة ، والاخر ملتصق تماما بالابط الايسر . كذلك كانت هناك ستة جروح بسيطة على ذراعيه ويديه ، وجرحان أفقيان : واحد على الفخذ الايمن والاخر في العضلات الجوفية وقد طعن طعنة غائرة في يده اليمنى .

يقول التقرير : « كانت تشبه ندبة المسيح المصلوب » . وكانت الكتلة الدماغية تزيد ستين جراما عن الرجل الانجليزي العادي ، وقد ذكر الاب أمادور في التقرير أن سانتياجو نصار لديه ذكاء رفيع ومستقبل

لامع . ومع ذلك ، في الملاحظة الاخيرة أشار الى تضخم في الكبد ناتج عن تليف كان الامل ضعيفا في شفائه .

« بمعنى آخر .. كانت أمامه سنين قليلة يعيشها » . هكذا قال لي الاب أمادور . والدكتور ديونيسيو أجوران الذي كان قد عالج سانتياجو نصار من التهاب الكبد وهو في سن الثانية عشرة ، وقد ذكر ذلك في التشريح وهو ناقم ، وقد قال لي : « القسيس فقط يمكن أن يكون أبكم تماما » .

لم تكن هناك على الاطلاق أية طريقة لتجعله يفهم أننا معشر الاستوائيين لدينا أكبادا أكبر من أكباد الاسبان . وقد اختتم التقرير بأن سبب الموت كان نزيفا حادا يمكن ان يحدث بسبب واحد من الجروح السبعة الاساسية .

لقد أعادوا لنا جسدا مختلفا تماما . نصف الجمجمة كان قد تحطم بسبب التربنة ، ووجه قاتل النساء الذي كان الموت ما زال محتفظا به انتهى بأن فقد شخصيته . علاوة على ذلك فان القسيس كان قد سحب الاحشاء المشرحة من جذورها ، ولكن في النهاية لم يعرف ماذا يفعل بها وأعطاها بركة غاضبة وألقى بها في دلو النفاية .

أما آخر المشاهدين فقد كانوا يحومون حول نوافذ مبنى المدرسة وقد فقدوا حب استطلاعهم ، واصيب هؤلاء الذين قاموا بالمساعدة بالاغماء ، اما الكولونيل لازارو ابونتي الذي شوهد هناك والذي تسبب في الكثير من المذابح فقد انتهى بأن اصبح نباتيا ، وايضا روحانيا .

وكان الصندوق الفارغ الممتلىء بالاسمال البالية ، والجير الحي والمخيط بغير اتقان بابر غليظة وخيط خشن على وشك السقوط والتفكك

قطعا عندما وضعناه داخل التابوت الجديد مع بطانة اللحاف الحريرية. ولقد قال لي الاب امادور : « لقد اعتقدت أنه سيمكث مدة أطول بهذه الطريقة » . لكن العكس حدث تماما ، واضطررنا لدفنه سريعا في الفجر لانه كان في شكل سيء للغاية ، لدرجة لا يمكن احتمالها أبدا داخل المنزل .

كان يوم الثلاثاء المليء بالسحب قد بدأ يبزغ ، لم تكن لدي الشجاعة للنوم في نهاية ذلك الوقت الثقيل الوطأة ، ودفعت باب منزل ماريا الجاندرينا سيرفانتس على أساس أنها لم تكن قد وضعت المزلاج . وكانت المصابيح الفرعية مضاءة وهي متدلية من الاشجار ، وفي الفناء المخصص للرقص كان هناك العديد من المواقد ، مليئة بالخشب الملتهب وعليها آنية ضخمة ، وكانت الفتيات الملونات يضعن صبغة الحداد فوق ملابسهن الخاصة بالحفل . ولقد وجدت ماريا الجاندرينا سيرفانتس مستيقظة كالعادة في الفجر ، وعارية تماما ، كما هي العادة عندما لا يكون هناك غرباء في المنزل . كانت تجلس القرفصاء مثل حورية تركية على سريرها الملكي في مواجهة طبق بابليوني مليء بالمأكولات : شرائح من لحم العجل ودجاجة مسلوقة .. بيت الكلاوي من لحم الخنزير .. كل هذا مزينا بمجموعة من النباتات والخضروات التي يمكن أن تكفي خمسة أشخاص . كان النهم الى الطعام ، دائما ، هو الطريقة الوحيدة للتعبير عن حدادها ، ولم أكن قد شاهدتها تفعل ذلك بمثل هذا الحزن.

رقدت بجانبها دون أن أخلع ملابسي ، متكلما بالكاد ، ومعبرا أيضا عن حزني بطريقتي . كنت أفكر في وحشية قدر سانتياجو نصار. هذا القدر الذي أخذ منه عشرين عاما من السعادة ، ليس فقط بموته، ولكن أيضا بتمزق جسده وتبديده وابادته . حلمت أن امرأة كانت تدخل الحجرة وهي تحمل على ذراعيها فتاة صغيرة ، وهذه الطفلة

كانت تمضغ دون توقف لتلتقط أنفاسها ، وكانت حبات الذرة النصف ممضوغـــة تسقط على (سوتيان) أمها . قالت الام لي : انهـــا تقرقش بأسنانها مثل كاسر الجوز .. نوعا من الصوت المزعج .. نوعا مـــن الرطرطة » . فجأة شعرت بالاصابع المتلهفة التي كانت تحـــل أزرار قميصي ، وتنسمت الرائحة الخطرة لحيوان الحب ، يرقـــد بجـــانب ظهري ، وشعرت بنفسي أغرق في أعماق مباهج حنانها . لكنها فجأةتوقفت، وسعلت من بعيد ، وانسحبت من حياتي . قالت : « لا استطيع .. ان رائحته تفوح منك » .

لست أنا فقط . كل شيء استمرت تفوح منه رائحة سانتياجـــو نصار في ذلك اليوم . والاخوان فيكاريو استطاعا أن يشما رائحته في زنزانة السجن عندما قام العمدة بحبسهما الى أن يفكر في أمر ما يفعله بشأنهما . ولقد قال لي بيدرو فيكاريو : « لا يهم كم اغتسلت بالصابون والخرق ، الا أنني لم أتمكن من أن أتخلص من الرائحة » .

كـــانـــا قد ظلا ثلاث ليال دون نوم ، لكنهمـــا لم يستطيعـــا أن يستريحا لانه بمجرد أن بدآ في الاستسلام للنوم كان لا بد مـــن ارتكاب الجريمة مرة أخرى . والآن وقد أصبح بابلو فيكاريو شبـــه رجـــل عجوز ، فقد حاول أن يشرح لي حالته في ذلك اليوم اللانهائي . وقد شرح ذلك دون مجهود : « كما لو كنت قد استيقظت مرتـــين في لحظـــة واحدة » . تلك الجملة جعلتني أفكر في أن ما كان يبدو غير محتمل بالنسبة لهما ، وهما في السجن ، هو نورانيتهما .

كانت مساحة الحجرة عشرة أقدام مربعة ، وبها نافذة عليا ذات قضبان حديدية ، وقصرية ، ومغسل بابريق وحوض ، وسريران متنقلان مزودان بحشيتين من القش . والكولونيل ابونتي ـــ الـــذي بنيت هذه

الحجرة طبقا لاوامره ـــ قال انه لا يوجد فندق أكثر انسانية من هذه الحجرة • ولقد وافق أخي لويس انريك على هذا القول ، لانــه في احدى الليالي كانوا قد حبسوه اثر عراك بين الموسيقيين ، وسمـــح لــه العمدة بهبة ، عبارة عن واحدة من الفتيات الملونات لتبقى معه تلــك الليلة • وربما فكر الاخوان فيكاريو في نفس الشيء في الثامنة صباحا عندما وجدا نفسيهما في أمان من العرب • في تلك اللحظة كـــانا قـــد شعرا بالراحة لقيامهما بواجبهما نحو شرفهما ، والشيء الوحيد الذي أقلقهما كان استمرار الرائحة • طلبا كمية كبيرة مـــن الماء ، وصابونـــا للغسيل ، وخرقا ، وأزالا الدمـــاء من اذرعهما ، ووجهيهمـــا ، وغسلا أيضا قميصيهما ، لكنهما لم يتمكنا من أخذ أي قسط من الراحـــة • وطلب بيدرو فيكاريو أيضا مليّنه الخاص للامعاء ، ودواء مدرا للبول ، ولفة من الشاش المعقم كي يتمكن من تغيير ضماداتـــه ، ونجـــح في التبول مرتين خلال الصباح ومع ذلك كانت الحياة ستصبح صعبة جدا بالنسبة له كلما تقدم اليوم لدرجة أن الرائحة احتلت المرتبة الثانية •

وفي الثانية بعد الظهر عندما كـــان ثقل الحرارة يجب أن يصهرهما لم يستطع بيدرو فيكاريو أن يظل هناك راقدا على السرير ، لكـــن نفس الارهاق منعه من الوقوف • كان الالم في فخذه قد وصـــل الى حلقه ، وتوقف بوله ، وعانى من الحقيقة المرعبة بأنه لن ينـــام مـــرة أخرى على الاطلاق ، بقية حياته • ولقد قال لي ، وأنا عرفته جيـــدا لادرك أن ما قاله كان صدقا : « لقد ظللت مستيقظا لمدة احـــد عشر شهرا » • لم يكن يستطيع أن يتناول أي غذاء • لكن بابلو فيكاريو، من ناحية أخرى ، أكل مقدارا قليلا من كل شيء أحضروه له ، وبعد خمس عشرة دقيقة كان يفرز ميكروبات وبائية •

وفي السادسة بعـــد الظهر عنـــدما كانوا يقـــومون بتشريح جثة

سانتياجو نصار استدعي العمدة على عجل لان بيدرو فيكاريو كان مقتنعا أن أخاه قد تسمم • وقد قال لي بيدرو فيكاريو : « لقد كان يتحول الى ماء أمام عيني ، ولم نستطع أن نتخلص من فكرة أن هذه كانت بعض حيل الاتراك » • وحتى تلك اللحظة كان قد ملأ القصرية مرتين ، وكان الحارس المكلف بحراسته قد أخذه الى حجرة غسيل البلدية ست مرات أخرى • وهناك وجده الكولونيل ابونتي ، في مرحاض بدون باب أمامه الحارس ، وكان يفرز ماء بطريقة مستمرة لدرجة أنه لم يكن من العبث أن لا يظن أن ذلك بفعل سم • لكنهم تركوا الفكرة جانبا ، وعلى الفور ، عندما أصبح ثابتا أنه لم يشرب الا الماء فقط وأنه تناول الطعام الذي أرسل اليه عن طريق بيورا فيكاريو• بالرغم من ذلك كان العمدة متأثرا جدا لدرجة أنه أخذ المسجونين الى منزله تحت حراسة خاصة الى ان جاء قاضي التحقيق ، ونقلهما الى سجن « ريوهاشا » •

كانت مخاوف التوأمين استجابة للحالة النفسية في الشوارع، والانتقام عن طريق العرب لم يستبعد ، لكن لا أحد ، ما عدا الاخوان فيكاريو كان قد فكر في السم • بل كان مفروضا أنهم سوف ينتظرون حتى هبوط الليل كي يسكبوا البنزين من خلال كوة السقف ويحرقوا السجينين في الزنزانة • لكن حتى هذا كان فرضا سهلا جدا •

هذا ولقد شكل العرب مجتمعا من المهاجرين المسالمين الذين كانوا قد استقروا في بداية القرن في المدن الكاريبية ، حتى في افقر وأبعد الاماكن ، وهناك عاشوا ، يبيعون الملابس الملونة والحلى في أسواقهم • وكانوا متعصبين لعشيرتهم ، ويعملون بجد ، وكاثوليكيين • كانوا يتزوجون من بعضهم البعض ويستوردون قمحهم ، ويربون خرافهم في أفنيتهم ، وزرعوا الشجر والباذنجان ، وكان لعب الورق هو هوايتهم

النشيطة الوحيدة • واستمر الافراد الاكبر سنا يتحدثون العربية البدائية التي كانوا قد أحضروها من موطنهم ، وأبقوا عليها محتفظة ببكارتهـا في الاسرة الى الجيل الثاني ،لكن الجيل الثالث ، باستثناء سانتياجو نصار ، استمعوا الى آبائهم بالعربية وأجابوهم بالاسبانية • لذلك كان لا يصدق أنهم سيغيرون فجأة روحهـم الريفية للانتقام لموت يقـع علينـا جميعـا مسؤوليته • من ناحية أخرى لم يفكر أحد للانتقـام من أسرة بلاسيدا لينيرو ، الذين كانوا أقوياء ويحاربون النـاس حتـى تتلاشى ثرواتهم ، والذين قاموا بتربية أكثر من اثنين من قاتلي البار اللذين كانا يحتميـان فقط باسميهما •

انزعج الكولونيل أبونتي بسبب الاشاعات ، وزار الاسر العربيـة واحدة تلو الاخرى ، وفي ذلك الوقت ، على الاقل ، وصل الى نهـايـة صحيحة • لقد وجدهم مرتبكين وحزانى ، وعلامات الحداد على مـذابح الكنيسة ، وبعضهم كـان يجلس علـى الارض ويولول ، لكن لم يفكر واحد منهم في الاخذ بالثار •

في ذلك الصباح كان رد الفعل قد نضج بفعـل حرارة الجريمة ، واعترف القادة أنفسهم أن ذلك لن يتعدى نطاق الهزيمة • علاوة علـى ذلك ، فان سوزانا عبدالله الام القوية ذات المائة عام ، هي التي أوصت بمنقوع أزهار معينة وبالاعشاب المعمرة الضخمة حتى تهدىء منافرازات بابلو فيكاريو • في الوقت نفسه أطلقت العنان لافرازات أخيه الانفية • وعندئذ سقط بيدرو فيكاريو فريسة لتهويمات الارق وأخوه المعـافى كسب أول نوم له دون ندم • كان هذا هو مـا وجدته عليهمـا بيورزيما فيكاريو في الثالثة من صباح الثلاثاء عندما أحضرها العمدة لتودعهما •

رحلت الاسرة بأجمعها ، حتى الاختين الكبيرتين مع زوجيهما بنـاء

على مبادرة الكولونيل أبوتني . رحلوا دون أن يلاحظ أحد ، محتمين بالانهاك الجماهيري العام ، بينما الباقون فقط على قيد الحياة في ذلك اليوم المتعذر الاصلاح والذين كانوا مستيقظين ، كانوا يدفنون سانتياجو نصار . كانوا يرحلون طبقا لقرار العمدة حين هدأت الارواح ، لكنهم لم يعودوا بعد ذلك ابدا .

ولقد لفت بيورا فيكاريو وجه الابنة المنبوذة بقطعة قماش كي لا يرى أحد الكدمات ، وألبستها رداء احمر زاهيا كي لا يعتقد أحد انها كانت في حداد على حبيبها السري . وقبل الرحيل طلبت من الاب امادور أن يعترف له ولداها وهما في السجن ، لكن بيدرو فيكاريو رفض وأقنع أخاه أنه ليس هناك ما يندمان عليه . وبقيا وحيدين ، وفي يوم انتقالهما الى « ريوهاشا » كانا قد استعادا صحتيهما الى أقصى درجة ، وكانا مقتنعين أنهما على حق وأنهما لا يجب أن يخرجا ليلا ، كما حدث مع الاسرة ، لكن في ضوء النهار الواضح وبوجهين مكشوفين .

ولقد مات بونسيو فيكاريو الاب بعد ذلك بقليل . وقالت لي انجيلا فيكاريو : « تسببت آلامه المعنوية في موته » .

وعندما أفرج عن التوأمين بقيا في «ريوهاشا » ، وقد كانت على مبعدة رحلة يوم واحد من « مانور » حيث كانت تعيش الاسرة . وقد ذهبت « برودينسيا كوتس » الى هناك لتتزوج بابلو فيكاريو ، الذي اشتغل في صناعة المعادن الثمينة في متجر أبيه ، وأصبح صانع ذهب دقيق .

أما بيدرو فيكاريو ، بلا حب وبلا عمل ، فقد تطوع مرة أخرى في القوات المسلحة بعد ذلك بثلاث سنوات ، وحصل على رتبة رقيب أول ،

وفي صباح أحد الايام الجميلة ، دخلت دوريته الى منطقة احدى العصابات وهي تغني اغاني الدعارة ، ولم يسمع عنها بعد ذلك مرة أخرى •

بالنسبة للغالبية العظمى من الناس كانت هناك ضحية واحدة فقط : باياردو سان رومان • لقد أخذوها كشيء مسلم به ، ان أبطال المأساة الاخرين كانوا قد أنجزوها بكرامة ، وحتى بعظمة مؤكدة ، ذلك الجزء من المجد الذي خصتهم به الحياة •

كان سانتياجو نصار قد كفر عن الاهانة ، وكان الاخوان فيكاريو قد أثبتا مكانتهما كرجال ، والاخت التي اعتدي عليها كانت تمتلك شرفها مرة اخرى • الشخص الوحيد الذي كان قد فقد كل شيء هو باياردو سان رومان : « مسكين بايا ردو سان رومان » ، كما كان يذكر عبر السنين • ومع هذا فلم يفكر أحد فيه الا بعد خسوف القمر يوم السبت التالي ، عندما قال الارمل زيوس للعمدة انه كان كالطائر الفسفوري يرفرف على منزله السابق ، ولقد اعتقد أن ذلك كان روح زوجته ، التي كانت تطوف حوله مطالبة بما كان لها • لطم العمدة جبينه ، لكن لم يكن لذلك آية علاقة برؤية الارمل •

صاح : « قذارة Shit » لقد نسيت تماما كل ما يخص ذلك الرجل المسكين » •

صعد التل مع دورية ووجد العربة بسقفها المنخفض في مواجهة بيت المزرعة ، ورأى ضوءا ضئيلا في حجرة النوم ، لكن لم يستجب أحد لندائاته • لذلك دمروا الباب الجانبي وفتشوا الحجرات ، التي كانت مضاءة بجمرات الخسوف • ولقد قال لي العمدة : « كانت الاشياء تبدو كما لو أنها تحت ماء » • كان بايا ردو سان رومان فاقدا وعيه على السرير ،

بنفس الطريقة التي رأته فيها بيورا فيكاريو في الصباح الباكر من يوم الثلاثاء ، مرتديا بنطلونه وقميصه الحريري ، لكن دون حذاء ، وكانت هناك زجاجات فارغة فوق الارض ، وعددا آخر غيرها لم يفتح بعد بجانب السرير ، لكن لا أثر للطعام • وقد علمت من الدكتور ديونيسيو اجوران، الذي كان قد أعطاه علاجا عاجلا : « كان في آخر حالات السكر » • لكنه استعاد نفسه في ساعات قليلة ، وبمجرد أن صفا عقله ، طردهم من المنزل بالسلوك المهذب الذي كان قادرا عليه ، وقال : « لا أحد يمارس الجنس معي •• ولا حتى والدي المحنك في الحرب » •

ولقد أخبر العمدة ، الجنرال بيترونيو سان رومان بالحادث ، من البداية الى النهاية وبالتفصيل ، في برقية مثيرة • ولا بد أن الجنرال سان رومان قد استجاب لرغبات ابنه حرفيا لانه لم يحضر من أجاسه ، لكنه أرسل زوجته مع بناتها واثنتين من النساء العجائز يظن انهما أختاها • حضرن على مركب شحن في ملابس الحداد حتى رقابهن وبشعورهن الطليقة في حزن وذلك تعبيرا عن احساسهن بسوء حظ بایاردو سان رومان • وقبل أن تطأ أقدامهن الارض ، خلعن أحذيتهن وذهبن حفاة الاقدام عبر الشوارع حتى قمة الهضبة في غبار الظهر المتأجج ، يشددن جدائل الشعر من جذورها ويندبن بصوت عال بصرخات منغمة كعويل الكلاب لدرجة أن الاصوات بدت وكأنها أنغام فرح • لاحظتهن من شرفة ماجدلينا اوليفر وهن يمرن ، وأذكر فكرة أن الحزن بهذه الطريقة لا بد أن يكون منظما لاخفاء عار آخر أشد وأعظم •

صحبهن الكولونيل لازارو ابونتي الى المنزل على التل ، وعندئذ صعد الدكتور ديونيسيو اجوران على البغل الذي يمتلكه ويركبه عندما تكون هناك طوارىء ، وعندما بزغت الشمس ، أنزل رجلان من حكومة المدينة بایاردو سان رومان من فوق أرجوحة خشبية مدلاة من سارية ،

ملفوفا حتى رقبته في بطانية من ذلك النوع الذي تستعمله النساء أثنـاء الندب ، ولقد اعتقدت ماجدلينا أوليفر أنه كان ميتا • صاحت : « يا له من ضياع » •

لقد قتله الكحول مرة أخرى ، لكن كان من الصعب تصديق أنهم كانوا يحملون شخصا حيا لان ذراعه اليمنى كانت مجرجرة على الارض ، وبمجرد أن أعادتها أمه داخل الارجوحة الشبكية كانت تسقط مرةأخرى، لدرجة أنه ترك أثرا على الارض من حافة الجرف حتى ظهر المركب • كان هذا هو كل ما بقي منه : ذكرى ضحية •

تركوا مزرعة المنزل كما كانت • اخوتي وأنا كنا نصعد الى هنـاك لاكتشافها في الليالي الصاخبة عندما نكون بالمنزل في العطلات ، وفي كل مرة كنا نجد أشياء قليلة القيمة في الحجرات المهجورة ، وذات مرةحصلنا على حقيبة السفر الصغيرة التي كانت انجيلا فيكاريو قد طلبتها من أمها ليلة زفافها ، لكننا لم نخصها بأي اهتمام • وما وجدناه بداخلها كانعبارة عن أشياء طبيعية للمرأة من أجل النظافة الصحية والتجميل ، واكتشفتأنا فقط استعمالاتها الحقيقية عندما قالت لي انجيلا فيكاريو فيما بعد بعدة سنوات أن تلك الاشياء عبارة عن مواد كانت تستعملها الزوجات فيالماضي لخداع أزواجهن • كان ذلك هو الاثر الوحيد في ذلك المنزل الذي كـان منزلها كامرأة متزوجة لمدة خمس ساعات •

بعد ذلك بعدة سنوات عندما عدت لابحث عن آخر أجزاء الدليل في سرد هذه الاحداث ، لم أجد حتى جمرات سعادة يولانـدا زيوس • كانت الاشياء تختفي شيئا فشيئا بالرغم من يقظة الكولونيل لازارو ابونتي المؤكدة ، حتى الدولاب الفارغ ذي المرايات الست الـذي صنعه أمهر

الحرفيين في (مومبكس) والذي كوم في مكان ما بالمنزل لصعوبةادخاله خلال الباب •

في البداية كان الارمل زيوس ممتلئا بالبهجة ، معتقدا ان هـــذه الاشياء تعتبر روحيا من ممتلكات زوجته التي ماتت ولم يكن معقولا أن يستولي أحد عليها • ولقد سخر منه الكولونيـل لازارو أبوتتي • لكن ذات ليلة خطر على باله أن يعقد جلسة أرواح كي يزيل الغموض • ولقد أكدت روح يولاندا زيوس بخط يدها أنها هي التي كانت في الحقيقـة تستعيد (شخشيخة) السعادة لبيتها الذي شاهد الموت • وكانت عربة الزفاف قد تساقطت مفككة بجانب الباب ، وفي النهاية لم يتبق شيء منها الا هيكلها • ولعدة سنوات لم يسمع شيء مرة أخرى عن مالكها •ويوجد تقرير عنها في المحضر لكنه قصير جدا وعادي لدرجة أنه يبدو وكـأنه قد أضيف اليه في آخر لحظة حتى يبدو المحضر معقولا ، لتجنب أية أسئلة أخرى • والوقت الوحيد الذي حاولت فيه أن أتحدث اليه ، كان بعـد ثلاثة وعشرين عاما • استقبلني بعدوانية خاصة ، ورفض أن يمدني حتى بأقل الحقائق التافهة والتي ربما توضح اشتراكه في الدراما •

على أي حال ، حتى أسرته لم تعرف عنه أكثر مما نعرفه ، ولم تكن لديهم فكرة ولو سطحية عن السبب الذي كان قد جاء من أجله في تلك المدينة الضائعة ، بدون هدف آخر غير زواج امرأة لم يكن قد رآها على الاطلاق •

وفي ما يتعلق بانجيلا فيكاريو ، من ناحية أخرى ، كنت أحصل دائما على أخبار دورية أثارت في نفسي صورة مثالية • أختي الراهبة كـانت تذهب على مقربة من واحدة من قرى جيوجيري العليا ، لبعض الوقت في محاولة لتحويل آخر الوثنيين الى المسيحية ، وكانت معتادة على التوقف

والتحدث معها في القرية التي تقع في ظهر الكاريبي حيث حاولت أمها ان تدفنها هناك وهي حية • ودائما كانت تقول لي : « ابنة خالتك تبعث اليك بتحياتها » • وأختي مارجوت ، التي كانت تزورها أيضا خلال السنوات الاولى ، قالت لي انها كانت قد اشترت منزلا متينا بفناء كبير بهوايات صليبية ، والمشكلة الوحيدة انها في ليالي المد العالي كانت دورات المياه تمتلىء بالمياه وكانت الاسماك ترتمي متخبطة في حجر النوم عند الفجر • وكل من رآها خلال تلك الايام اتفق في الرأي على انها كانت مستغرقة ، وماهرة في عملها على ماكينة التطريز ، وهكذا عن طريق العمل استطاعت أن تنسى •

بعد ذلك بكثير ، أثناء فترة غير محددة ، عندما كنت أحاول ان افهم شيئا عن نفسي عن طريق بيع الموسوعات والكتب الطبية في مدن (جيوجيري) بالصدفة ذهبت بعيدا الى ان وصلت الى قرية الموت الهندية تلك • وفي نافذة منزل كان يواجه البحر ، مطرزة تطريز ماكينة أثناء أشد ساعة من ساعات اليوم حرارة ، كانت هناك امرأة في نصف حداد ، بنظارات ذات اطار معدني وشعر رمادي ضارب الى الصفرة ، ويتدلى من فوق رأسها قفص به عصفور كناريا لم يتوقف عن الغناء • عندما رأيتها هكذا في ذلك الاطار الشاعري ، رفضت تصديق أن السيدة التي هناك هي تلك التي أظنها ، لانني لم أستطع أن أقنع نفسي بالاعتراف بأن الحياة يمكن أن تنتهي بأن تتشابه هكذا مع أدب رديء • لكنها كانت هي : انجيلا فيكاريو •• بعد ثلاثة وعشرين عاما من المأساة •

عاملتني كما كانت تعاملني دائما ، كابن خالة بعيدة ، وأجابت على أسئلتي برأي سليم وحسن فهم • كانت ناضجة تماما وذكية لدرجة أنه كان من الصعب تصديق أنها كانت نفس الشخص • ما أدهشني أكثر ، الطريقة التي كانت قد انتهت بها في فهمها لحياتها •

بعد دقائق قليلة لم تعد تبدو كبيرة السن بالنسبة لي كما رأيتها منذ النظرة الاولى ، لكن تقريبا صغيرة مثلما كانت في ذاكرتي ، ولم يكن لديها شيء مشترك بالشخص الذي كانت قد أجبرت على الزواج به دون حب في سن العشرين •

استقبلتني أمها بشيخوختها المتذمرة كما لو كنت ضيفا ثقيلا • رفضت أن تتحدث عن الماضي ، ومن أجل هذا السرد كان لا بد أن أكون راضيا بالجمل غير المترابطة القليلة من خلال حديثها مع أمي ، والقليلة الاخرى العالقة في ذكرياتي •

وكانت قد جاوزت ما كان ممكنا لتجعل انجيلا فيكاريو تموت وهي حية ، لكن الابنة نفسها كانت قد حددت مستقبلها بأنه يساوي صفرا ، لانها لم تخف أسرارا تتعلق بسوء حظها •

على العكس ، كانت ترويه بكل تفاصيله لكل من يريد سماعه ، ما عدا نقطة واحدة لم تفسر على الاطلاق : من كان السبب الحقيقي في دمارها ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟•• لان أحدا لم يصدق أنه كان سانتياجو نصار •

لقد كانا ينتميان الى عالمين مختلفين تماما ، فلم يرهما أحد اطلاقا سويا ، على الاقل سويا بمفردهما • كان سانتياجو نصار متغطرسا جدا ليهتم بها • كان يقول لي عندما تكون هناك ضرورة ليشير اليها : « ابنة خالتك البلهاء » • بالاضافة الى ذلك ـــ كما كنا نقول في ذلك الوقت ـــ أنه كان كصقر الدجاج ، كان يتجول بمفرده ، تماما مثل والده ، يقرص برعم أية عذراء متمردة تبدأ في التظاهر في تلك الغابات ، لكن في المدينة لم تكن له أية علاقة اخرى معروفة الا بالنسبة لواحدة مألوفة تمسك بها

دهي فلورا ميجول ، وواحدة عاصفة مع ماريا الجندرينا سيرفاتتس التي ساقته للجنون لمدة أربعة عشر شهرا •• والرواية الحديثة ، الى أبعد حد، ربما لانها أكثر التواء ، أن انجيلا فيكاريو كانت تحمي شخصا أحبهـا حقيقة ، وأنها اختارت اسم سانتياجو نصار لأنها اعتقدت أن أخويها لن يجرآ اطلاقا على التصدي له • ولقد حاولت إن أنتزع تلك الحقيقة منها بنفسي عندما قمت بزيارتها في المرة الثانية ، وبكل البراهين وبتسلسـل الأحداث ، لكنها رفعت عينيها بالكاد عن التطريز وقالت لي : « لا تضرب حتى الموت يا ابن الخالة •• انه هو » •

كل شيء آخر ذكرته دون تحفظ ، حتى كارثة ليلة زفافها • روت كيف ان صديقاتها أشرن عليها لتسكر زوجها في الفراش حتى ينتهي من فض غشاء بكارتها ، ولتتظاهر بمزيد من الارتباك أكثر من الذي تشعر به حقيقة كي يطفىء النور ، ثم لتاخذ نضحة شديدة المفعول من ماء حجر الشب لتتظاهر بالعذرية ، وتلطخ الملاءة بالميركوركروم ، كي تنشرهـا في اليوم التالي في فناء عرسها • ولكن صديقاتها الساقطات لم يأخذن شيئين في الاعتبار : مقاومة باياردو سان رومان غير العادية كسكير ، واحتشام انجيلا فيكاريو النقي ، والمختفي داخل تبلدها الحسي الذي كانت أمها قد فرضته عليها • قالت : « لم أفعل أي شيء مما ذكرنه لي •• كلمـا فكرت في ذلك كثيرا كلما تحققت أنه شيء قذر لا يجب أن يحدث لاي انسان وخصوصا لذلك الرجل المسكين الذي قاده سوء الحظ للزواج بي » • ولذلك تركت نفسها عارية بوضوح في حجرة النـوم المضـاءة متحررة الآن من كل المخاوف المكتسبة التي كانت قـد حطمت حياتها • قالت لي : « كنت في منتهى البساطة •• لانني كنت قد عقدت العزم على الموت » •

الحقيقة انها تحدثت عن سوء حظها بدون خجـل كي تخفي سوء

الحظ الأخر الحقيقي ، الذي كان ينصهر في داخلها • ولم يكن يتصور أحد ، الى أن قررت أن تخبرني ، أن بياردو سان رومان كان في حياتها الى الابد منذ اللحظة التي أعادها فيها الى منزلها • كانت ضربة قاضية • ثم قالت :«فجأة ، عندما بدأت أمي تضربني ، بدأت أتذكره » • كانت الضربات أقل ايلاما لانها كانت تعرف ان ذلك من أجله • واستمرت تفكر فيه بدهشة غريبة من نفسها عندما كانت ترقد على كنبة في حجرة الطعام وهي تذرف الدموع • وقالت لي : « لم أكن أبكي من الضربات أو من أي شيء كان قد حدث •• كنت أبكي من أجله » • ولقد ظلت تفكر فيه بينما كانت أمها تضع كمادات زهرة العطاس فوق وجهها ، وحتى أكثر من ذلك عندما سمعت الصياح في الشارع وأجراس انذار الحريق في برج الكنيسة ، ودخلت أمها لتخبرها أنها تستطيع الان أن تنام لان أسوأ ما يمكن أن يحدث ، قد حدث •

كانت قد ظلت تفكر فيه لمدة طويلة بدون أية أوهام عندما اضطرت للذهاب مع أمها لتفحص عينيها في المستشفى في (ريوهاشا)• وفي طريقهما توقفتا عند فندق (ديل برتو) ، الذي يعرفان صاحبه ، وطلبت بيورا فيكاريو من البار كوبا من الماء • كانت تشرب وظهرها لابنتها عندما رأت الاخيرة افكارها تنعكس في المرايا المتكررة حول الحجرة • أدارت انجيلا فيكاريو رأسها وكأنها كانت تتنفس لآخر مرة • رأته يمر بها دون أن يراها ، ورأته يخرج من الفندق • عندئذ نظرت الى أمها بقلبها الممزق • كانت بيورا فيكاريو قد انتهت من الشرب ، وجففت شفتيها بكمها وابتسمت لها من البار ، بنظارتها الجديدة • في تلك الابتسامة ، ولاول مرة منذ مولدها ، رأتها انجيلا فيكاريو كما كانت : امرأة فقيرة تكرست لعبادة عيوبها • قالت لنفسها : « يا للقذارة » • كانت قلقة

تماما لدرجة أنها قضت رحلة العودة كلها الى المنزل تغني بصوت عـال ، وألقت بنفسها فوق سريرها تبكي لمدة ثلاثة أيام •

لقد ولدت من جديد • قالت لي : « لقد جننت به •• شيء خـارج عن نطاق عقلي » • كان يكفيها فقط أن تغلق عينيها لتراه ، سمعته يتنفس في البحر ، لهيب جسده في السرير يوقظها في منتصف الليـل • وقرب نهاية ذلك الاسبوع ، وغير قادرة على الحصول على لحظة راحة ، كتبت له أول خطاب • كانت رسالة عادية ، قالت له فيها انها رأته وهـو يخرج من الفندق وأنها كانت تحب أن يراها • انتظرت الرد دون جدوى • وفي نهاية الشهرين ، ومتعبة من الانتظار ، أرسلت لـه خطابا آخـر بنفس الاسلوب الغير مباشر ، كالخطاب السابق ، والذي كان هدفه الوحيـد تأنيبه لعدم كياسته • بعد ستة شهور أخرى كانت قد كتبت ستة خطابات دون رد ، لكنها طمأنت نفسها بأن هناك ما يدل على أنه استلمها •

وهكذا ، انجيلا فيكاريو ، سيدة قدرها لاول مرة ، اكتشفت أن الكره والحب عاطفتان متبادلتان • كلما أرسلت خطابات كثـيرة كلمـا احترق فحم حرارتها ، لكن الضغينة السعيدة التي شعرت بها تجاه أمها اشتعلت هي الاخرى • قالت لي : « فقط مجرد رؤيتها يجعلني أوشك على التقيؤ ، لكنني لا أستطيع أن أراها دون أن أتذكره » • وهكذا فان حياتها كزوجة مرفوضة ، استمرت ، بسيطة مثل خادمة عجوز ، تعمل في التطريز على الماكينة مع صديقاتها ، تماما مثلما كانت تصنع من قبل زهور التيوليب من النسيج ، وطيورا من الورق ، لكن عندمـا تذهب أمها الى الفراش فانها تبقى في الحجرة الى الفجر تكتب خطابات بلا مستقبل • أصبحت متألقة ، غير محتملة ، سيدة ارادتها الحرة ، وعادت عذراء مرة أخرى ، فقط من أجله ، وأدركت أن لا سلطة أخرى الا سلطتها هي ، ولا أي مصلحة الا مصلحتها هي •

كانت تكتب خطابا اسبوعيا لاكثر من نصف عمر . قالت لي وهي تموت ضحكا : « أحيانا لم أستطع التفكير في ما أقول ، لكن كان ذلك كافيا بالنسبة لي أن أعرف انه كان يتسلمها » . في البداية كانت تعليقات خطيبة ، ثم كانت رسالات صغيرة من محبة غامضة ، وبطاقات معطرة من حبيبة خفية ، وأوراق عمل ، ووثائق حب ، وأخيرا كانت خطابات زوجة ساخطة مهجورة اخترعت أمراضا وحشية كي يعود . في احدى الليالي، وهي في حالة نفسية طيبة ، أراقت المحبرة فوق الخطاب الذي انتهت من كتابته ، وبدلا من أن تمزقه أضافت له ملحقا : « كدليل على حبي أرسل اليك دموعي » . أحيانا ، وهي متعبة من البكاء ، كانت تسخر من جنونها . ست مرات تغيرت فيها مديرات مكتب البريد ، وست مرات اشتركن معها في هذا العمل . الشيء الوحيد الذي لم تفكر فيه ابدا هو أن تستسلم . ومع ذلك فقد أصبح واضحا أنه لا يبالي بجنونها ، كما لو كانت لا تكتب لاحد .

وفي صباح مبكر من احد الايام العاصفة في السنة العاشرة ، استيقظت عن يقين أنه كان عاريا في فراشها . عندئذ كتبت له خطابا شديد الانفعال ، طوله عشرون صفحة ، وفي هذا الخطاب ودون خجل أطلقت الحقيقة المرة التي كانت في نفسها والتي تعفنت في قلبها منذ تلك الليلة المنحوسة . كلمته عن الندبات الابدية التي تركها فوق جسدها ، ولذعة لسانه ، والتجعيدة النارية (لآلته) الافريقية . وفي يوم الجمعة سلمته لمديرة مكتب البريد التي جاءت مساء الجمعة لتطرز معها وتجمع الرسائل، وكانت مقتنعة أن ذلك المسكّن الاخير سيكون نهاية عذابها . لكن لم يكن هناك أي رد . ومنذ تلك اللحظة لم تعد تدرك ما تكتبه أو لمن كانت تكتب بالفعل ، لكنها داومت على الكتابة بدون هوادة لمدة سبعة عشر عاما .

وخلال منتصف أحد أيام أغسطس ، بينما كانت تقوم بالتطريز مع صديقاتها سمعت شخصا يتقدم من الباب • لم تكن مضطرة للنظر لترى من كان• قالت لي: «كان ممتلئا وكان على وشك أن يفقد شعره ، وكان في حاجة الى نظارات ليرى الاشياء القريبة منه ، لكنه كان هو • لعنة الله • لقد كان هو » • كانت مذعورة لانها عرفت أنه كان يراها ، ضئيلة تماما كما رأته هي ، ولم تفكر انه يحمل في نفسه كل هذا الحب الذي تحملته • كان قميصه منقوعا في العرق ، تماما مثلما رأته في السوق الخيري لاول مرة ، وكان يرتدي نفس الحزام ، ويحمل نفس (الخرج) الجلدي المفكك والمزخرف بالفضة • تقدم باياردو سان رومان خطوة الى الامام ، غير عابىء بعاملات التطريز المندهشات ووضع (خرجه) على ماكينة الخياطة• قال : « حسنا •• ها أنذا » •

كان يحمل حقيبة بها ملابس كي يبقى ، وحقيبة أخرى تشبهها تماما بها حوالي الالفي رسالة التي كانت قد كتبتها له • وكانت مرتبة حسب تواريخها في حزم مربوطة بأشرطة ملونة ، وكلها لم تفتح •



لعدة أعوام لم نستطع التحدث عن أي شيء آخر . كان سلوكنا اليومي الذي سيطرت عليه حينذاك عادات متشابهة وكثيرة ، وقد بدأ فجأة يدور حول قلق واحد محدد . كانت ديوك الفجر تستيقظ معنا ونحن نحاول أن نعيد تنظيم ربط الاحداث التي كانت قد جعلت العبث ممكنا ، وكان واضحا أننا لم نكن نفعل ذلك لالحاحنا في أن نكشف ذلك الغموض ، ولكن لانه ولا واحد منا كان يستطيع أن يعيش بدون معرفة تامة بالمكان والرسالة الموكلة لنا من القدر .

ولم يعرف الكثير منا أبدا أي شيء . كريستو بيدويا ، الذي ثابر كي يصبح جراحا مشهورا ، لم يستطع أن يشرح لنفسه لماذا استسلم للحافز الذي دفعه ليقضي ساعتين في منزل جديه الى أن جاء الاسقف ، بدلا من الذهاب للراحة عند والديه ، اللذين كانا في انتظاره منذ الفجر ليحذراه . لكن معظم هؤلاء الذين كان بامكانهم عمل شيء لمنع الجريمة ومع ذلك لم يعملوه ، واسوا أنفسهم بحجة أن مسائل الشرف احتكارات مقدسة لا يقترب منها ابدا الا هؤلاء الذين هم جزء من الدراما . لقد سمعت أمي تقول : « الشرف هو الحب » . وهورتنسيا بوت ، التي انحصر دورها في أنها كانت قد شاهدت سكينتين بشعتين لم يلطخا بالدماء بعد ، تأثرت جدا بالهذيان الذي ساد المدينة لدرجة أنها وقعت أسيرة أزمة ندم ، وذات يوم ، وغير قادرة على أن تتحمل أكثر مما تحملت ، خرجت عارية الى الشارع . وفلورا ميجول ، خطيبة سانتياجو نصار فرت هاربة لاحساسها بالغل ، مع ملازم بخفر الحدود دفعها للاتجار بجسدها مع عمال المطاط

في (فيشادا) • وأورا فيليروس (الداية) التي كانت قد ساعدت في اخراج ثلاثة أجيال الى العالم قاست من تقلص في المثانة عندما سمعت الاخبار ، وحتى يوم موتها اضطرت الى استعمـــال القشطرة كي تتبــول • ودون ريجيليو دي لافلور ، الزوج الطيب لكلوتيلد أرمنتا، والذي كان معجزة في النشاط وهو في سن السادسة والثمانين ، نهض لآخر مرة ليرى كيف كانوا قد مزقوا سانتياجو نصار الى قطع صغيرة قبالة منزله المغلق ، ومات لانه لم يتحمل الصدمة • أما بلاسيدا لينيرو فكانت قد أغلقت ذلك البـــاب في اللحظة الاخيرة،ولكن مع مرور الوقت حررت نفسها من اللوم•قالت لي: « لقد أغلقته لان ديفينا فلور كانت قد أقسمت لي أنها كانت قد شاهدت ابني وهو يدخل ، وكان ذلك غير صحيح » • من ناحية اخرى لم تسامح أبدا نفسها لانها خلطت بين التنبؤ الرائع للاشجار مع الطيور سيئة الطالع، واستسلمت لعادتها الضارة في ذلك الوقت بمضغ حبات قرة العين •

بعد اثني عشر يوما من الجريمة ، جاء قاضي التحقيق الى مدينـــة كانت جرحا مفتوحا ، وفي المكتب الخشبي الحقير الموجود بدار البلدية ، وهو يشرب قدر القهوة الممزوج بـــ (ليكير) القصب لمواجهة التهيؤات التي يخلقهـــا سراب الحرارة ، اضطر لطلب فرقة من الامـــداد العسكري لتحكم الحشد الذي كان يتدفق ليدلي بشهادته دون أن يكون مطلـــوبا لذلك، تواقين لان يلفتوا الانظار لادوارهم الهامة في المأساة• كان قد تخرج من الجامعة حديثا وما زال يرتدي (بدلة) مدرسة الحقوق السوداء المصنوعة من التيل ، وعليها الشعار الدائري الذهبي الذي يدل على تخرجه ، وكان ذا كبرياء مصطنع ومبالغة شعرية كأب جديد سعيـــد • لكنني لم أعرف اسمه أبدا • كل ما عرفناه عن شخصيته عرفناه عن طريق مذكرة التحقيق التي ساعدني العديد من الناس في البحث عنها لمدة عشرين عامـــا بعـــد ذلك في (قصر العدل) في (ريوهاشا) • لم يكن هناك أي تصنيف للملفات

بأي شكل ، وكان هناك أكثر من قضايا من قرن بأكمله متراكمة فوقارض مبنى الكولونيل الآيل للسقوط ، والذي كان مركز قيادة السير فرانسيز دريك لمدة يومين • وكان الـدور الارضي يفيض بفعـل المد العـالي والمجلدات المفككة تطفو في أنحاء المكاتب المهجـورة • وأنا نفسي قمت بالبحث مرات كثيرة بينما كانت المياه تغمرني حتى رسغ قدمي في تلـك البحيرة ذات القضايا المفقودة ، والفرصة الوحيدة بعد خمس سنوات من البحث أتاحت لي أن أنقذ حوالى ٣٢٢ صفحة سرقت منأكثرمن خمسمائة صفحة كانت المذكرة لا بد وأن تتضمنها •

ولم يظهر اسم القاضي على أي واحدة منها ، لكن كان واضحا أنه رجل يحترق بحمى الادب • انه بـلا شك قد قرأ الادب الكـلاسيكي الاسباني والقليل من اللاتيني ، وكان مطلعا الى حد كبير على أعمـال (نيتشه) الذي كان يعتبر مؤلفا مألوفا بين قضاة عصره • والملاحظـات الهامشية ، وليس فقط بسبب لون الحبر بدت لي كما لو كانت قد كتبت بالدم • وكان مذهولا بسبب ذلـك الغموض بالرغم من احساسه بـأن الفرصة قد واتته لدرجة أنه أحس في مرات كثـيرة أنه اصبـح أسير انجذابات شعرية تتناقض مع وظيفته الصارمة • أكثر من هذا كله ، انه لم يتصور شرعية أن الحياة يمكن أن تستخدم تطابقات أدبية ممنوعة بحيث أنه يجب أن تكون هناك التزامات غير مقيدة لموت واضح التوقع •

وبرغم ذلك ، فقد كان ما يزعجه كثيرا في نهاية اجتهاده المفرط هـو عدم عثوره على دليل واحد ، ولا حتى واحد بعيد الاحتمال ،بأنسانتياجو نصار قد كان سبب الخطأ • وصديقات انجيلا فيكاريو اللاتيكن شركاءها في الخديعة استمررن بالقول لمدة طويلة انها كانت قد تقاسمت سرها معهن قبل الزفاف ، ولكنها مع ذلك لم تبح لهن بأي اسم • وفي مذكرة الدعوى

أعلن : « لقد حدثتنا عن المعجزة ولم تحدثنا عن القديس » • وبالنسبة لدور انجيلا فيكاريو فلم تتزحزح عنه • وعندما سألها قاضي التحقيق بأسلوبه الادبي ما اذا كانت تستطيع أن تحدد من هو المتوفى سانتياجو نصار هذا ، أجابته مؤكدة : « لقد كان الرجل الذي ارتكب (الفعل) معي » •

بتلك الطريقة أقسمت في التحقيق ، لكن بدون أي مزيد من التفصيلات ، سواء كيف أو أين • وأثناء المحاكمة ، التي استمرت ثلاثة أيام فقط ، وضع ممثل الشعب أكبر جهده لتأكيد ضعف هذا الاتهام • كان هذا هو سبب حيرة قاضي التحقيق بسبب عدم وجود دليل ضد سانتياجو نصار ، لدرجة أن عمله الجيدفي بعض الاوقات بدا كما لو أنه يتحطم بأمل كاذب • وفي الملف رقم ٤١٦ وبخط يده ، بحبر الصيادلة الاحمر ، كتب ملاحظة هامشية : «طالما ان هناك تحاملا فانك تستطيع ان تفعل ما تشاء » • وتحت تلك الصياغة الجديدة التي تنم عن وهن العزيمة، رسم رسما تخطيطيا متسما بالبهجة بنفس الحبر الاحمر ، قلبا مطعونا بسهم • وبالنسبة له تماما ، كما هو بالنسبة لاشد أصدقاء سانتياجو نصار المقربين ، فان سلوك الضحية التام خلال ساعاته الاخيرة كان دليلا ساحقا على براءته •

في صباح يوم موته ، لم يكن لدى سانتياجو نصار لحظة شك بالرغم من حقيقة أنه كان يعرف تماما ما هو ثمن الاهانة المنسوبة اليه • كان مدركا لنزعة عالمه المفرط في الاحتشام ، وقد كان يعرف بالتأكيد انطبيعة التوأمين البدائية غير قادرة على مقاومة الاهانة • لم يكن هناك من يعرف باياردو سان رومان حق المعرفة ، لكن سانتياجو نصار عرفه بما فيه الكفاية ليدرك أنه تحت عالمه الدنيوي المصطنع ، كان مجرد شخص مثل أي شخص آخر بالنسبة لتحامله الذاتي • لذلك فان وعيه بعدم اهتمامه

يمكن أن يكون انتحارا . بالاضافة الى ذلك أنه عندما علم في اللحظة الاخيرة ان الاخوين فيكاريو كانا ينتظرانه ليقتلاه ، كان رد فعله لا يدل على الانهيار ، كما يقال دائما ، لكن كان ارتباك البراءة .

وانطباعي الشخصي انه مات دون أن يفهم موته . وبعد أن كان قد وعد أختي مارجوت أنه سوف يأتي ويتناول افطاره في منزلنا ، كريستو بيدويا أمسك به من ذراعه وهما سائرين على طول رصيف الميناء ، وبدا ان الاثنين غير مهتمين ، مما حدا بالناس الى أن يخلعوا عليهما اوهاما كاذبة . قالت لي لويزا : « كانا يسيران في سعادة لدرجة انني شكرت الله لانني اعتقدت أن المسألة كانت قد انتهت » . وبالطبع لم يكن الجميع يحبون سانتياجو نصار حبا شديدا ، وبولو كاريلو ، صاحب مصنع الكهرباء كان يعتقد أن هدوءه دليل على براءته ، بل تعبير عن سخريته . قال لي : « لقد اعتقدت ان ثراءه يمنع أي شخص من ايذائه » . وفوستا لوبيز ، زوجته ، علّقت : « تماما مثل كل الاتراك » . كان اندايسيو باردو قد مر بجانب محل كلوتيلد أرمنتا ، وكان التوأمان قد قالا له انه بمجرد أن يرحل الاسقف فانهما سيقتلان سانتياجو نصار . ومثل غالبية الكثيرين اعتقد أن ذلك كان مجرد تهويمات المستيقظين حديثا من النوم ، لكن كلوتيلد أرمنتا جعلته يدرك أن ذلك الكلام كان صحيحا ، وطلبت منه أن يذهب الى سانتياجو نصار ويحذره .

قال له بيدرو فيكاريو : « لا تهتم .. فانه الآن كالاموات تماما » .

كان ذلك بمثابة تحد واضح : فالتوأمان يعرفان الروابط بين اندايسيو باردو وسانتياجو نصار ، ولا بد أنهما أدركا أنه هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يوقف الجريمة دون أن يجلبا أي عار لنفسيهما . لكن اندايسيو وجد سانتياجو نصار يسير متأبطا ذراع كريستو بيدويا

وسط الحشود التي كانت تغادر أرصفة الميناء ، ولم يجرؤ على تحذيره . قال لي : « لقد فقدت أعصابي » . وربت على ظهر كل منهما وتركهما يسلكان طريقهما . ولكنهما لم يلاحظا ذلك لانهما كانا ما زالا منشغلين بحساب تكاليف حفل الزفاف .

اندفعت الناس واتجهت الى الميدان تماما كما فعل الاثنان . كان الحشد كثيفا ، لكن ايسكو لاستيكا كيستروسي اعتقدت أنها لاحظت ان الصديقين كانا يسيران في الوسط دون أي صعوبة ، داخل دائرة فارغة ، لان الناس كانت تعرف أن سانتياجو نصار سوف يموت . فلم يجرؤ على لمسه أحد . ولقد تذكر كريستو بيدويا أيضا موقفا غريبا تجاههما . قال لي : « كانوا ينظرون لنا كما لو كنا قد طلينا وجوهنا » . كذلك فان (سارا نوريجا) كانت تفتح محلها لبيع الاحذية في اللحظة التي كانا يمران فيها ، وقد ذعرت لشحوب سانتياجو نصار ، لكنه هدأ من روعها .

قال لها دون أن يتوقف : « آنستي سارا .. يمكن ان تتصوري أي شيء في هذه الضوضاء » .

وكان (كليست دانجوند) يجلس مرتديا (بيجامته) بجانب باب منزله ، ساخرا من هؤلاء الذين كانوا قد ذهبوا ليحيوا الاسقف ، ودعا سانتياجو نصار ليتناول معه القهوة . قال لي : «كان ذلك لاكتساب بعض الوقت للتفكير » . لكن سانتياجو نصار أجاب بأنه على عجل ليغير ملابسه كي يتناول افطاره مع أختي . قال لي كليست دانجوند : « اختلط عليّ الامر كله لانه بدا لي فجأة أنهما لن يستطيعا قتله اذا كان متأكدا هكذا مما سوف يفعله » . أما (ياميل شوم) فكان الشخص الوحيد الذي عمل ما كان قد اقترح أن يعمله . فبمجرد سماعه الاشاعة ، خرج الى باب مخزنه للبضائع وانتظر سانتياغو نصار كي يتمكن من تحذيره . لقد كان

آخر رجال العرب الذين جاؤوا مع ابراهيم نصار ، وقد كان يشاركه في لعب الورق حتى موته ، وكان ما زال المستشار الوراثي للعائلة • ولم يكن لاي شخص سلطة للتحدث مع سانتياجو نصار كما كانت له•وبرغم ذلك اعتقد أنه اذا كانت الاشاعة لا أساس لها من الصحة فان التحذير يكون بلا جدوى ، ولذلك فانه آثر أن يتشاور أولا مع كريستو بيدويا، على احتمال أن يكون لدى الاخير معلومات أكثر •

صاح يناديه بمجرد أن مر به • ربتت كريستو بيدويا على ظهر سانتياجو نصار ، الذي كان قد وصل بالفعل الى ركن الميدان ، وذهب الى ياميل شوم وهو يقول لنصار : أراك يوم السبت •

ولكن سانتياجو نصار لم يجبه ، انما قال شيئا بالعربية لياميل شوم، وأجابه الاخير بالعربية أيضا وهو يتلوى من الضحك •

قال لي ياميل شوم : « كانت المسألة عبارة عن لعب بالكلمات ، وقد تعودنا دائما على هذا النوع من الفكاهة» • وبدون أن يتوقف ، لوّح سانتياجو نصار لهما مودعا ، وسار الى ركن الميدان • كانت هذه آخر مرة شاهداه فيها •

لم يضع كريستو بيدويا وقتا أكثر من الوقت الذي سمع فيه معلومات ياميل شوم وانطلق خارجا من المحل ليلحق بسانتياجو نصار• لقد رآه يلف بجانب ركن الميدان ، لكنه لم يستطع أن يجده وسط الحشود التي كانت قد بدأت تندفع الى الميدان • وكثير من الناس الذين سألهم أجابوه نفس الاجابة :

« لقد رأيناه توا معك » •

ولقد بدا أنه من المستحيل أن يكون قد وصل الى المنزل في مثل ذلك الوقت القصير ، لكن على أي حال ، دخل المنزل ليسأل عنـــه طالما أنه وجد الباب الامامي مواربا • دخل دون أن يرى الورقة التي كانت علـــى الارض • عبر حجرة المعيشة ذات الظلال ، محاولا ألا يحدث أي ضوضاء ، لان الوقت ما زال مبكرا للزوار ، لكن الكـــلاب استيقظت خلف المنزل وجاءت لتستقبله ، فهدأها بمفاتيحه كما تعلم من اسيادها ، وواصل طريقه ناحية المطبخ ، وهي تتبعه • وفي الشرفـــة وجد ديفينـــا فلور ، التي كانت تحمل دلوا من المـــاء وخرقـــة لتنظيف ارض حجرة المعيشة • وقد أكدت له أن سانتياجو نصار لم يعد بعـــد • وكـــانت فيكتوريا جوزمان قد وضعت توا صينية الارانب في الفرن عندما دخل المطبخ • فهمت على الفور ، وقالت لي : « كان مـــذعورا » • سألهـــا كريستو بيدويا عما اذا كان سانتياجو نصار في المنزل ، فأجابته بسذاجة مزعومة أنه لم يعد بعد لينام •

فقال لها كريستو بيدويا : « انها مسألة خطيرة •• انهما يبحثان عنه ليقتلاه » •

نسيت فيكتوريا جوزمان سذاجتها •

قالت :« هذان الصبيان الفقيران لن يقتلا أحدا » •

فقال كريستو بيدويا : « انهما يشربان الخمر منذ يوم السبت » •

أجابت : « بالضبط •• لا يوجد سكير في العالم يبتلع قرفه » •

عاد كريستو بيدويا الى حجرة المعيشة ، حيث كانت ديفينـــا فلور قد فتحت النوافذ توا • قال لي كريستو بيدويا : « بالطبـــع لم تكـــن تمطر وكانت الساعة قد تخطت السابعة ، وشمس ذهبية قـــد اخترقت النوافذ » • سأل ديفينا فلور مرة أخرى عما اذا كانت متأكدة مـــن أن

سانتياجو نصار لم يدخل المنزل خلال باب حجرة المعيشة . الآن لـم تكن متأكدة كما كانت أول مرة . سألها عن بلاسيدا لينيرو ، فأجابته انهـا قبل دقيقة واحدة كانت قد وضعت لها القهوة فوق (الكوميدينـو) ، لكنها لم توقظها . كانت هذه هي الطريقة المتبعة دائمـا : تستيقظ في السابعة ، وتتناول قهوتها ، وتنزل من الدور العلـوي لتعطي أوامرهـا للغداء . نظر كريستو بيدويا الى الساعة:كانت السادسة وست وخمسين دقيقة . عندئذ صعد الى الدور الثاني ليتأكد أن سانتياجو نصار لم يكن قد حضر بعد .

كانت حجرة النوم مغلقة من الداخل ، لان سانتياجو نصـار كان قد خرج من المنزل خلال حجرة نوم أمه . وكريستو بيدويـا لم يكن يعرف المنزل فقط كمـا يعرف منزله تماما ، لكنه كـان مقربا جدا الى العائلة لدرجة أنه دفع الباب دفعا ودخل حجرة نوم بلاسيـدا لينـيرو وذهب من هناك الى الحجرة المجاورة . كان هناك شعاع من الضـوء المغبر يتسلل خلال المنور ، والمرأة الجميلة النائمة على جنبها في الارجوحة الخشبية ، وكفها على وجنتها ، تنظر نظرة غير عادية . قال لي كريستـو بيدويا : « كانت مثل شبح » . نظر اليها للحظة ، مفتونا بجمالها ، ثم اخترق الحجرة في هدوء ، ومر بالحمام ، ودخل حجرة نوم سـانتياجو نصار . كان الفراش ما زال مرتبا ، لم يستعمله أحد . وعلى المقعد الانيق كانت توجد ملابسه الخاصة بركوب الخيل ، وفوق الملابس كانت توجد قبعة راكب الجياد ، وعلى الارض حذاؤه ذو الرقبة الطويلة (بـوت) وبجانبه المهمازان . وعلى المنضدة ، كـانت ساعة يـد سانتياجـو نصار تشير الى السادسة وثمان وخمسين دقيقـة . قال لي كريستو بيدويـا : « فجأة اعتقدت أنه قد عاد ليخرج مسلحا » . لكنه وجـد المسدس في (الكوميدينو) . قال لي كريستو بيدويا : « لم أكن قد أطلقت النـار

على الاطلاق،لكنني قررت أن آخذ المسدس وأعطيه لساتنياجو نصار» .
وضعه في حزامه ، تحت قميصه ، وفقط بعد الجريمة أدرك أنه كان غير محشو بالرصاص . وهنا ظهرت بلاسيدا لينيرو في مدخل الحجرة ومعها كوب القهوة في اللحظة التي كان يغلق فيها الدرج .

صاحت : « يا الهي .. انك روّعتني » .

كريستو بيدويا روّع هو الآخر . لقد رآها في ضوء كامل ، ترتدي (روب دي شامبر) مزركش بطيور ذهبية ، وشعرها غير مرتب، وكانت رقتها قد اختفت . شرح لها وهو مضطرب الى حد ما أنه كان يبحث عن ساتنياجو نصار .

قالت بلاسيدا لينيرو : « ذهب ليستقبل الاسقف » .

قال : « ذهب الى هناك مباشرة ؟ » .

قالت : « أعتقد ذلك .. انه ابن لأسوأ أنواع الامهات » .

ولم تكمل كلامها لانها في تلك اللحظة أدركت أن كريستو بيدويا لم يعرف ماذا يفعل بنفسه . قالت له بلاسيدا لينيرو : « أرجو أن يسامحني الله . لكن بدا عليه أنه مضطرب جدا لدرجة أنه خطر ببالي فجأة أنه كان قد جاء ليسرق » . وقد سألته عما اذا كان هناك خطأ ما . كان كريستو بيدويا مدركا أنه في موقف مريب ، لكن لم تكن لديه الشجاعة ليبوح بالحقيقة .

قال لها : « كل ما في الامر أنني لم أنم دقيقة واحدة » .

وتركها دون شرح آخر . قال لي : « على أي حال انها كانت تتخيل دائما أنها قد سرقت » . وفي الميدان انطلق الى الاب أمادور ، الذي كان

عائدا الى الكنيسة بردائه الكهنوتي ليقوم بذلك القداس المحبط، لكنه لم يفكر انه من الممكن أن يفعل أي شيء من أجل سانتياجو نصار ما عدا تبرئة روحه . وعندما كان يتجه ناحية أرصفة الميناء مرة ثانية سمعهم ينادونه وهم بباب محل كلوتيلد أرمنتا . كان بيدرو فيكاريو في مدخل الباب ، شاحبا ، وشرسا ، قميصه مفتوح ، وكمساه ملفوفان حتى الكوعين ، وفي يده السكين العارية . من الناحية الاخلاقية كانت وقاحته مسألة طبيعية ، ومع ذلك لم تكن هذه الوقاحة هي الشيء الواضح الذي اصطنعه في اللحظات الاخيرة حتى لا يمنعوه من ارتكاب الجريمة .

صاح عاليا : « كريستوبال .. قل لسانتياجو نصار اننا في انتظاره هنا لنقتله » .

كان ممكنا أن يقدم له كريستو بيدويا معروفا بمنعه . قال لي : « لو أنني كنت قد تعلمت كيف أطلق المسدس ، لكان سانتياجو نصار حيّا اليوم » . ومع هذا فان الفكرة كانت مثار اهتمامه بعد أن سمع كل ما قيل عن مدى قوة الرصاصة المصفحة التي لدى سانتياجو نصار .

صرخ : « انني أحذرك .. انه مسلح بمسدس يمكن اختراق كتلة حديدية » .

كان بيدرو فيكاريو يعرف أن ذلك ليس صحيحا . قال لي : « انه لم يخرج أبدا ومعه سلاح الا عندما يرتدي ملابس ركوب الخيل» . لكن على أي حال ، كان قد توقع احتمال أنه من الممكن أن يكون مسلحا عندما اتخذ قرارا بأن يعيد شرف أخته نظيفا .

صاح : « الموتى من الرجال لا يستطيعون اطلاق النار » .

عندئذ ظهر بابلو فيكاريو عند المدخل • كان شاحبا مثل أخيه ، وكان يرتدي (جاكتة) حفل الزفاف ، ويحمل سكينته الملفوفة في ورق الجرائد • قال لي كريستو بيدويا : « لو لم يكن السكين في يــده لمـا استطعت أن أفرق أي الاخوين كان » •

عندئذ ظهرت كلوتيلد ارمنتا خلف بابلو فيكاريــو وصرخت في كريستو بيدويا ليسرع لانه في تلك المدينة المكتظة بالناس ، رجل مثله هو الذي يستطيع أن يمنع المأساة •

كل شيء حدث بعد ذلك كان في الميدان العام • والناس الــذين كانوا عائدين من أرصفة الميناء وحذّروا بالصيحات ، بدأوا يحتلــون مواقع في الميدان ليشاهدوا الجريمة • ولقد سأل كريستو بيدويا العديد من الناس الذين يعرفهم عما اذا كانوا قد رأوا سانتياجو نصار ، لكن لم يره أحد • وعند باب النادي الاجتماعي ، أسرع الى الكولونيل لازارو أبونتي وأخبره بما حدث تماما أمام محل كلوتيلد أرمنتا •

لكن الكولونيل ابونتي قال : « لا يمكن أن تحدث جريمة لانني قلت لهما أن يذهبا الى المنزل للنوم » •

فصاح كريستو بيدويا : « لقد رأيتهما توا وهما يحملان سكينتي ذبح الخنازير » •

فقال العمدة : « لا يمكن أن تحدث جريمة،لانني أخذت السكينتين منهما قبل أن أتركهما يذهبان الى المنزل للنوم •• لا بد أنك رأيتهمــا قبل ذلك » •

قال كريستو بيدويا : « لقد رأيتهما منذ دقيقتين وكلا منهما يحمل سكينة ذبح الخنازير » •

قال العمدة : « أوه •• انها لقذارة Shit •• اذن لا بد أنهما قد عادا بسكينتين جديدتين » •

ووعد بأن يهتم بالمسألة على الفور،لكنه عاد الى الناديالاجتماعي ليراجع موعد لعبة الدومينو في تلك الليلة ، وعندما خرج مرة أخرى كانت الجريمة قد ارتكبت بالفعل • وعندئذ ارتكب كريستو بيدويا خطأه الوحيد المميت : لقد اعتقد أن سانتياجو نصار كان قد قرر في اللحظة الاخيرة أن يتناول افطاره في منزلنا قبل تغيير ملابسه ، فذهب الى هناك ليبحث عنه ، وأخذ يسرع على طول ضفة النهر ، سائلا كل من مروا به عما اذا كانوا قد شاهدوه مارا من هذا المكان، لكن لم يقل واحد فقط انه رآه • وهكذا لم يتم تحذيره لانه كانت توجد طرق اخرى للوصول الى منزلنا • وقد توسلت اليه بروسبيرا ارانجو ، وهي من نساء الجبل ، أن يفعل شيئا من أجل والدها الذي كان يعاني من آلام احتضاره عند مدخل منزله محصنا ببركة الاسقف التي خلعها على المدينة • ولقد قالت لي أختي مارجوت : « لقد رأيته عندما مررت به وقد كان وجهه بالفعل وجه رجل ميت » •

ولقد تأخر كريستو بيدويا أربع دقائق ليتحقق من الحالة الصحية للرجل المريض ، ووعد بالرجوع فيما بعد لعمل الاسعاف الضروري ، لكنه فقد ثلاث دقائق أخرى في مساعدة بروسبيرا ارانجو لنقله الى حجرة النوم • وعندما خرج ثانية سمع صيحات بعيدة ، بدت له كأنها صواريخ قد أطلقت في اتجاه الميدان • حاول أن يجري لكن المسدس الضخم الذي كان معلقا في حزامه بطريقة غير متقنة عاقه عن الجري •

وبمجرد أن انعطف حول الركن الاخير من الميدان تعرّف على أمي من عجيزتها ، عندما كانت تجر ، عمليا ، ابنها الاصغر وراءها .

ناداها : « لويزا ساتنياجو .. اين ابنك بالمعمودية ؟ »
التفتت أمي بشق النفس ، وكان وجهها غارقا بالدموع .

أجابت : « أوه .. إبني .. يقولون انه قد قتل » !

هذا ما كان . بينما كان كريستو بيدويا يبحث عنه ، كان ساتنياجو نصار قد ذهب الى منزل فلوريدا ميجول ، خطيبته ، القريب من ركن الميدان ، حيث كان قد رآه لآخر مرة. قال لي : « لم يخطر ببالي أنه من الممكن أن يكون هناك لان هؤلاء الناس لا يستيقظون قبل الظهيرة على الاطلاق » . والرواية التي انتشرت مفادها ان الاسرة بأجمعها نامت حتى الثانية عشرة بأمر من ناهير ميجول رجل المجتمع الحكيم . ولقد قالت مرسيدس : « وهذا هو السبب في ان فلورا ميجول ، التي لم تعد صغيرة بعد ، احتفظت بجمالها كوردة » . والحقيقة أنهم أبقوا على المنزل مغلقا حتى وقت متأخر ، مثل كثيرين آخرين ، لكنهم كانوا يستيقظون مبكرا ويعملون بجد . وكان والدا ساتنياجو نصار ، وفلورا ميجول قد اتفقا على أنهما يجب أن يتزوجا . وقد وافق ساتنياجو نصار على الخطبة عند تفتح سن المراهقة ، وكان مصمما على الوفاء بوعده ، ربما لانه كان لديه نفس المفهوم النفعي للزواج مثل أبيه . وبالنسبة لفلورا ميجول فقد استمتعت بحالة انتعاش خاصة ، لكن كان ينقصها الذكاء والحكمة ، وكانت قد عملت كإشبينة للعروس لكل جيلها ، لذلك كان الاتفاق بالنسبة لها بمثابة حل سعيد تدخلت فيه العناية الالهية . كان ارتباطهما مبسطا ، بدون زيارات رسمية ، أو قلوب قلقة. وزفافهما الذي تأخر عدة مرات ، تحدد نهائيا في عيد الميلاد التالي .

وقد استيقظت فلورا ميجول في ذلك الاثنين مع الاصوات الاولى لنفير مركب الاسقف ، وبعد ذلك بقليل اكتشفت أن التوأمين فيكاريو كانا في انتظار سانتياجو نصار ليقتلاه • قالت لاختي الراهبة ، الوحيدة التي تكلمت معها بعد المأساة ، انها لا تتذكر من الذي أخبرها • قالت لها : « عرفت فقط أنه في السادسة صباحا أن كل شخص قد عرف الحكاية » • ومع ذلك بدا لها أنه لا يمكن تصور أنهما سوف يقتلان سانتياجو نصار ، لكن من ناحية أخرى ، خطر ببالها أنهما سيجبرانه على زواج انجيلا فيكاريو كي تسترد شرفها • ولقد خاضت بسبب ذلك أزمة مهانة • وبينما كان نصف المدينة ينتظر الاسقف ، كانت هي في حجرة نومها تبكي غضبا ، وتقوم بترتيب صندوق خطابات سانتياجو نصار التي كان قد أرسلها لها من المدرسة •

هذا وكلما مر بمنزل فلورا ميجول ، حتى اذا لم يكن هناك أحد بالمنزل ، كان سانتياجو نصار ينبش بمفاتيحه خلال ستائر النافذة • وفي ذلك الاثنين كانت تنتظر ومعها صندوق الخطابات في حجرها • ولم يستطع سانتياجو نصار أن يراها من الشارع ، لكنها على أي حال رأته يقترب من الستارة قبل أن ينبشها بمفاتيحه •

قالت له : « تعال » •

ولكن لا أحد ، ولا حتى دكتور ، كان قد دخل ذلك المنزل صباحا في السادسة وخمس وأربعين دقيقة • وكان سانتياجو نصار قد ترك "توا كريستو بيدويا عند محل ياميل شوم، وكان هناك أناس كثيرون جدا يتحركون معه لدرجة أنه كان من الصعب تصديق أنه لا يوجد شخص واحد رآه وهو يدخل منزل خطيبته • وقاضي التحقيق كان

يبحث عن شخص واحد يكون قد رآه ، وحقق في ذلك بمنتهى المثابرة مثلي ، لكن كان مستحيلا ايجاد شخص واحد •

في الصفحة رقم ٣٨٢ من المذكرة ، كتب رأيا هامشيا بالحبر الاحمر : « الضرورة تخيفنا » • والحقيقة أن سانتياجو نصار دخل المنزل خلال الباب الرئيسي ، على مرأى تام من كل شخص ، دون أن يحمل شيئا يخفي به نفسه • كانت فلورا ميجول تنتظره في الردهة ، وقد تحول وجهها الى الخضرة من شدة الغضب ، وكانت ترتدي واحدا من ثيابها الذي أصيب بسوء الطالع ، بعد أن كانت ترتديه عادة في المناسبات الجديرة بالذكر ، ووضعت صندوق الخطابات بين يديه •

قالت له : « هذه أشياؤك ، وانني أتمنى أن يقتلوك » !

كان سانتياجو نصار مرتبكا جدا لدرجة أنه اسقط الصندوق وتبعثرت خطاباته التي خلت من الحب على الارض • ولقد حاول أن يمسك بفلورا ميجول في حجرة النوم ، لكنها أغلقت الباب وأحكمت اغلاقه بالمزلاج • فطرق الباب عدة مرات ، وناداها بصوت عال ملح بالنسبة لهذا الوقت من اليوم ، لدرجة أن أفراد الاسرة كلهم جاؤوا قلقين • كان هناك أكثر من أربعة عشر شخصا من الاقارب بالدم ، وبالزواج ، بالغين ، وقصّر • وكان ناهير ميجول ، الاب ، ذو اللحية الحمراء ، هو آخر القادمين ، وكان مرتديا قفطانا يدويا أحضره معه من موطنه ، وكان يرتديه دائما في المنزل • لقد رأيته مرات كثيرة ، وكان ضخما ونحيلا ، لكن ما أثر كثيرا في نفسي سلطته القوية •

نادى بلغته : « فلورا •• افتحي الباب » •

دخل حجرة نوم ابنته بينما أخذت الاسرة تحدق في سانتياجو

نصار • كان راكعا في الردهة ، يلتقط الخطابات ويضعها في الصندوق • قالوا لي : « كان منظره يشبه الذين يكفرون عن ذنوبهم » •

خرج ناهير ميجول من حجرة النوم بعد دقائق قليلة ، وأشار بيده فاختفت أسرته كلها •

واستمر يتكلم بالعربية مع سانتياجو نصار • قال لي : « منذ اللحظة الاولى فهمت أنه ليست لديه أية فكرة بسيطة عما كنت أقوله » •

عندئذ سأله بطريقة مباشرة عما اذا كان يعرف أن الاخوين فيكاريو كانا يبحثان عنه ليقتلاه • قال لي : « شحب لونه وفقد توازنه الى درجة أنه كان من المستحيل أن أتخيل أنه كان يتظاهر » • وقد سلم بأن سلوكه لم يعكس خوفا كثيرا بقدر ما عكسه من اضطراب •

قال له : « أنت فقط الذي تستطيع أن تعرف ما اذا كانا على حق أم لا ، لكن على أي حال أمامك طريقان فقط لتتبعهما الآن : اما أن تختبىء هنا ، في هذا المنزل الذي هو منزلك ، أو تخرج ومعك بندقيتي » •

فقال سانتياجو نصار : « انني لا أفهم أي شيء لعين هذا » •

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي استطاع أن يقوله ، وقاله بالاسبانية • قال لي ناهير ميجول : « كان يشبه طائرا مبتلا صغيرا » • واضطر الى أن يأخذ الصندوق بين يديه لانه لم يكن يعرف أين يضعه كي يفتح الباب •

قال له : « سيكونان اثنين ضد واحد » •

ترك سانتياجو نصار المنزل • وكان الناس قد تجمعوا في الميدان ،

بالطريقة التي يتجمعون بها أيام المواكب . شاهده الجميع وهو يخرج ، وأدركوا جميعا أنه الآن قد عرف أنهما سيقتلانه ، وكـان مرتبكا جدا لدرجة أنه لم يستطع أن يتعرف على طريقه للمنزل. ولقد قالوا ان شخصا ما صاح من الشرفة : « ليس هذا الطريق ، أيها التركي ، طريق رصيف الميناء القديم » . بحث سانتياجو نصار عن مصدر الصوت . صاح فيه ياميل شوم أن يدخل متجره وذهب ليحضر بندقية الصيد ، لكنه لـم يستطع أن يتذكر أين وضع الخراطيش . وبدأوا يصيحون فيـه مـن كل جانب ، وسانتياجو نصار يتقـدم ويتقهقر عـدة مرات ، مرتبكا بالاصوات الكثيرة التي انبعثت في وقت واحد . كان واضحا انه كـان متجها الى منزله خلال باب المطبخ ، لكن لا بد أنه قد أدرك فجأة ان الباب الرئيسي كان مفتوحا .

قال بيدرو فيكاريو : « ها هو ذا قد حضر » .

رآه كلاهما في نفس الوقت . خلع بابلو فيكـاريو (جاكتتـه)، ووضعها فوق المقعد الطويل ، ونزع الورق من على سكينه ، وأمسـك بها كما لو كان يمسك سيفا معقوفا ذو حد واحد . وقبل مغادرة المحل ، وبطريقة (أوتوماتيكية) رسما علامة الصليب على صدريهما . عندئـذ قبضت كلوتيلد أرمنتا على قميص بيدرو فيكاريو وصاحت في سانتياجو نصار أن يجري لانهما سيقتلانه . كانت صيحة سريعة ملحة لدرجة أنها أغرقت غيرها من الاصوات .

قالت لي كلوتيلد أرمنتا : « في البداية أصيب بالفزع لانـه لـم يكن يعرف من كان يصرخ فيه أو من أين » . لكن عندما رآها ، رأى أيضا بيدرو فيكاريو ، الذي ألقى بها على الارض وأمسك بأخيه . كان

سانتياجو نصار على بعد يقل عن خمسين ياردة من منزله فجرى نـاحية الباب الرئيسي •

وفي المطبخ ، وقبل ذلك بخمس دقائق ، كانت فيكتوريـا جوزمان قد أخبرت بلاسيدا لينيرو ما كان يعرفه كل شخص سلفا • كانت بلاسيدا لينيرو امرأة ثابتة الاعصاب ، لذلك لم تدع آية علامة من علامات القلق تظهر عليها • وسألت فيكتوريا جوزمان عما اذا كانت قد قالت أي شيء لابنها ، وكانت تكذب بأمانة عندما أجابت بأنها لم تكن قد عرفت عندما نزل من حجرته ليتناول القهوة • وفي حجرة المعيشة عندما كانت مستمرة في تنظيف الارض ، رأت ديفينا فلور ، في نفس الوقت سانتياجو نصار يدخل البيت خلال الباب المطل على الميدان ويصعد السلم الى حجرات النوم • وقد قالت لي ديفينا فلور : « كانت هذه رؤية واضحة تمامـا • كان يرتدي بذلته البيضاء ويحمل في يده شيئا لم أستطع التعرف عليه تماما ، لكنه يشبه صحبة ورد » • وهكذا عندما سألت بلاسيدا لينيرو عنه ، طمأنتها ديفينا فلور •

قالت لها : « لقد صعد الى حجرته منذ دقيقة » •

عندئذ رأت بلاسيدا لينيرو الورقة على الارض ، لكنها لم تفكر في التقاطها واكتشفت فقط ما كانت تحتوي عليه عندما عرضها عليها شخص ما فيما بعد أثناء فوضى هذه الدراما • ومن خلال الباب رأت الاخوين فيكاريو يهرولان ناحية المنزل وهما يمسكان بالسكينتين • ومن المكان الذي كانت فيه استطاعت أن تراهما لكنها لم تستطع أن ترى ابنها الذي كان يجري ناحية الباب من اتجاه آخر •

قالت لي : « اعتقدت انهما كـانا يريدان الدخـول لقتلـه داخل المنزل » •

عندئذ جرت الى الباب وأغلقته بعنف • وكانت تـدفع المـزلاج عندما سمعت صرخات سانتياجو نصار ، وسمعت ضربـات مرعبة على الباب ، لكنها تصورت أنه كان في حجرته يوجه الاهانـات للاخـوين فيكاريو من شرفة حجرته • فصعدت اليه لتساعده •

ثوان قليلة فقط هي التي وقفت حائلا بين سانتياجو نصار ودخول المنزل ، فقبل هذه الثواني القليلة كان الباب قد أغلق • لكنه استطاع أن يدق بقبضته عدة مرات ، ثم التفت على الفور ليواجـه أعداءه بيديـه العزلاوين• قال لي بابلو فيكاريو: «لقد كنت خائفا عندما رأيت وجهه لانه بدا لي ضعف حجمه الذي كان » • رفع سانتياجو نصار يـده ليوقف الضربة الاولى الآتية من بيدرو فيكاريو ، الذي طعنه في الجانب الايمن بسكينه مباشرة •

صرخ : « يا أولاد العاهرة » !

اخترقت السكين راحة يده اليمنى ، وغاصت في جانبه حتى المقبض، وسمع كل انسان صرخة ألمه •

« آه يا أبي » !

انتزع بيدرو فيكاريو سكينه بمعصمه الذابح الحديـدي وسدد اليه طعنة في نفس المكان تقريبا • أعلن بيدرو فيكاريو للمحقق :«الشيء الغريب أن السكينة خرجت نظيفة ، وكنت قد طعنته ثلاث مرات عـلى الاقل ، ولم تكن هناك نقطة دم واحدة » • أخذ سانتياجو نصار يتلوى بعد الطعنة الثالثة ، وذراعاه مصلوبتان فوق بطنه ، تاركا الالم الناجم عن بطن ساقه ، وحاول أن يدير ظهره اليهما • بابلو فيكاريو ، الـذي

كان على يساره عندئذ أعطاه الطعنة الطعنة الوحيدة في الظهر . انفجر الـــدم تحت ضغط عال امتصه قميصه . قال لي : « كانت رائحة الدم هي رائحته هو » . وبثلاثة جروح مميتة ، استدار سانتياجـو نصار يواجههما مرة أخرى ، واتكأ بظهره على باب أمه ، دون ذرة من المقاومة ، كما لو كان يريد فقط أن يساعدهما على الانتهاء من قتلـه بنصيب متساو . قـال بيدرو فيكاريو للمحقق : « لم يصرخ مرة أخرى ، بل على العكس : بدا لي كما لو كان يضحك » .

عندئذ استمر الاثنان في طعنه أمام الباب طعنات خفيفة بالتبـادل وقد تخلصا من الخوف كأنهما يعومان فوق مياه راكدة . وهكـذا لم يسمعا صيحات المدينة كلها ، المذعورة بجريمتهما . ولقد أعلـن بابلـو فيكاريو : « لقد أحسست بنفسي ما تحس به وأنت على ظهر حصـان يجري » . لكنهما استيقظا فجأة على الواقع ، لانهما كانا متعبين ، ومع هذا فقد تصورا أن سانتياجو نصار لن يسقط على الاطلاق . قـال لـي بابلو فيكاريو : « يا للقذارة يا ابن الخالة .. انك لا تستطيع ان تتخيل مدى صعوبة قتل انسان » !

وفي محاولة للانتهاء فورا والى الابد بحث بيدرو فيكاريو عن قلبه، لكنه بحث عنه تحت الابط تقريبا ، حيث توجد قلوب الخنازير . وفي الواقع فان سانتياجو نصار لم يسقط لانهما كانا يعوقان سقوطه بالطعنات وظهره الى الباب . وعن يأس ، أعطاه بابلو فيكاريو طعنة أفقية في معدته، فانفجرت الى الخارج كل أحشائه . وكان بيدرو فيكاريو على وشك أن يفعل نفس الشيء ، لكن رسغه التوى رعبا ، فأعطاه قطعا وحشيـا في الفخذ . وكان سانتياجو نصار ما زال متكئا على الباب للحظة واحدة ،

الى أن رأى أحشاءه في ضوء الشمس ، نظيفة وزرقـاء ، ثم سقط على ركبتيه •

بعد البحث عنه والصياح عليه في حجرة النوم ، وسامعة لصيحات أخرى لم تكن صيحاتها ، وغير عارفة من أين ، ذهبت بلاسيدا لينيرو الى النافذة المواجهة للميدان ورأت التوأمين فيكاريو يجريـان في اتجـاه الكنيسة • وبمطـاردة حامية الوطيس كان ياميل شوم يجري ببندقيته (الجاجوار) مع بعض العرب غير المسلمين ، اعتقدت بلاسيدا لينيرو أن الخطر كان قد زال • عندئذ خرجت الى شرفة حجرة النوم ورأت سانتياجو نصار أمام الباب ، منكفئا على وجهه في التراب ، يحاول أن ينهض مـن دمه • وقف •• مائلا على جنب واحد ، وبدأ يمشي في حالة هذيان ماسكا أحشاءه المدلاة في يديه •

سار أكثر من مائة ياردة ، حول المنزل تماما ، ودخل خلال بـاب المطبخ • كان ما يزال لديه وعي كاف كي لا يذهب الى الشارع ، لانـه كان الطريق الاطول ، لكنه دخل عن طريق باب منزل مجاور • لونشو لانيو ، وزوجته ، وأطفالهما الخمسة كانوا لا يعرفون مـا حـدث حـالا على بعد عشرين خطوة من بابهم • قالت الزوجة لي : «سمعنا الصرخات ، لكننا اعتقدنا أنها جزء من مهرجان الاسقف » • كانوا يجلسون للافطار عندما رأوا سانتياجو نصار يدخل،غارقا في الدم ، وحاملا جذور أحشائه بين يديه • قالت لي بونشو لانيو : « ما لا يمكن أن أنساه أبدا الرائحة المفزعة للقذارة Shit » • لكن ارجيندا لانيو ، الابنة الكبرى ،قالت ان سانتياجو نصار سار متحملا بطريقة عادية ، وازنا خطواته تمامـا ، وأن وجهه العربي بتجعيداته العتيدة كان أكثر وسامة من أي وقت آخر على الاطـلاق • وعندما مر بجانب المنضدة ابتسم لهم واستمر سائرا خلال حجرات النوم الملاصقة للباب الخلفي للمنزل • قالت لي ارجيندا

لانيو : « كنا قد شللنا من الخوف » • وكانت خالتي وينفريدا مـــاركيز تزن صابوغة (نوع من السمك) في فنائها في الناحية الاخرى من النهر عندما رأته يهبط سلم رصيف الميناء القديم ، باحثا عن طريقــه للمنزل بخطوات ثابتة •

صرخت فيه : « سانتياجو •• ابني •• ما الذي حدث لك ؟ »

قال : « لقد قتلوني يا طفلتي وين » •

تعثر في خطوته الاخيرة ، لكنه نهض على الفور • قالت لي خالتي وين : « كان حريصا على أن يزيل القذارة التي كانت ملتصقة بأحشائه» • ثم دخل المنزل خلال الباب الخلفي الذي كان مفتوحا منـــذ السادسة وسقط على وجهه في المطبخ •



كتب أخرى للمترجم

ـ مسألة كرامة	مجموعة قصص سنة ١٩٦٠
ـ ورقة دمغة	مجموعة قصص سنة ١٩٦١
ـ الكورس وانتهت الجلسة	مسرحيتان سنة ١٩٦٨
ـ السعادة الزوجية والقتيل	مسرحيتان سنة ١٩٦٨
ـ الدرس (مع كتاب آخرين)	مسرحية سنة ١٩٧٠
ـ لأن ولأنهم	مسرحية سنة ١٩٧٣
ـ آخر السهرة	مجموعة قصص سنة ١٩٧٣
ـ أوربا ٧٤	ادب الرحلات سنة ١٩٧٤
ـ يوميات أوروبية	ادب الرحلات سنة ١٩٧٥
ـ زواج كل العصور والتحقيق	مسرحيتان سنة ١٩٧٥
ـ هذه الرحلة وبيت الزوجية	مسرحيتان ١٩٧٦
ـ ٢٠ فنانا عالميا يتحدثون	سنة ١٩٧٧
ـ نماذج من الادب الاسرائيلي	سنة ١٩٧٧
ـ القضية والعار والخلاص	مسرحية سنة ١٩٧٧
ـ خمس مسرحيات ذات فصل واحد	سنة ١٩٨٠

تحت الطبع

- قضية هامة جدا مجموعة قصص
- ٢٥ قصة سينمائية عالمية
- قراءات في كتب اوروبية